إنجيل الحقيقة

الأخت باسمة الخوري الأنطونيّة
دكتورة في لاهوت الكتاب المقدّس

"إنجيل الحقيقة" هو أحد كتب "كودكس يونغ"، وهو الأوّل من ١٣ "كودكس" –بحسب الاسم العلميّ لكلّ مجموعة أوراق مطوية ومخيّطة معًا– هي أقدم النسخات المعروفة اليوم، وقد اكتشفت سنة ١٩٤٥ في نجع حمادي في محافظة سهاج المصريّة جنوب المنية.

يحتوي "كودكس يونغ" هذا على خمس كتب هي: صلوات الرسول بولس؛ كتاب يعقوب السرّيّ؛ إنجيل الحقيقة؛ مقال حول القيامة؛ المقالة الثلاثيّة. وبلغ مجموع الكتب المكتشفة في الـ١٣ كودكس ٥٢ كتابًا.

تأخذ عبارة "إنجيل" عند الغنوصيّين معاني مختلفة؛ فكما في الكرازة المسيحيّة، ظهرت هذه العبارة باكرًا جدًّا للدلالة على إعلان البشرى السارّة، قبل أن تُستعمل في القرن الثاني للدلالة على نصوص الأناجيل حصرًا. وفي حين كثُرت "الأناجيل" في الأوساط الغنوصيّة، لم تحتفظ الكنيسة الرسميّة إلا بأربعة.

صحيح أنّ الغنوصيةَ اعُطت لبعضٍ من كتبها عنوان "إنجيل"، لكنّ الحقيقة هي أنّ البشرى السارّة الغنوصيّة لا تمتّ بصلة إلى حياة يسوع المخلّص ولا إلى كلامه وأعماله وفدائه، بل تحتوي عقائد الغنوصيّين التي تؤكّد بأنّ الخلاص يأتي من كلمات يسوع، إضافة إلى تفسيرهم لهذه الكلمات، وتعاليمهم النابعة من هذا التفسير.

يقع "إنجيل الحقيقة" في ٢٨ صفحة باللغة القبطيّة، ويبدو أنّه ترجمة عن اليونانيّة، وقد احتفظ المترجِم بالعديد من العبارات والأفعال اليونانيّة. يبدأ هذا "الإنجيل" بالإشارة إلى كرازة "إنجيل الحقيقة"، والتأكيد أنّه "فرحٌ للذين تلقّوا النعمة من لدن أب الحقّ، الذي جعلهم يعرفون، بقدرة اللوغوس... إنجيل هو ظهور الأمل، الاكتشاف لكلّ الذين يفتشون عنه" (١٦: ٣١تي)[١].

يعود "إنجيل الحقيقة"، إضافة إلى بعض النصوص المكتشفة في نجع حمادي، إلى المدرسة الفالنتينيّة. وفالنتان هو أهم المعلمين الغنوصيّين. وُلد في مصر وتعلّم وتربّى في الإسكندرية. علّم في روما بين سنة ١٣٥ و١٦٠م.

يمكن أن نقرّب هذا "الإنجيل" من "إنجيل الحقيقة" الفالنتينيّ الذي يشجبه ايريناوس. لكنّ الإشادة الدائمة في هذا النصّ بـ"إنجيل الحقيقة" تجعلنا نستبعد هذه الفرضيّة.

منذ نهاية القرن الثاني قام إيريناوس أسقف ليون بحملة كبيرة يشجب فيها ما يسمّى بـ"الأناجيل الغنوصيّة". وفي حربه ضدّ الفالنتينيّة، وهي شكلٌ من أشكال الغنوصيّة المسيحيّة يقول:

"أمّا أتباع فالنتان، وقد خرجوا عن كلّ مخافة، فقد نشروا كتابات من فبركتهم، وتباهوا بأنّهم يملكون

(١) يبدأ "إنجيل الحقيقة" صفحة ١٦ في كودكس يونغ وينتهي في الصفحة ٤٣، وعليه فإنّ المراجع في هذه الدراسة تدلّ على الصفحة، تليها الآيات على النحو التالي؛ (١٦:٣١) أي الصفحة ١٦ آ ٣١. ستأتي المراجع في ما بعد بين قوسين، في حين يأتي رقم الهوامش في أسفل الصفحات دون قوسين.

أناجيل أكثر من الموجود. وقد وصلوا بالفعل إلى درجة من الجرأة سمحت لهم بأن يعطوا عنوان "إنجيل الحقيقة" لكتاب ألّفوه بأنفسهم مؤخّرًا، ولا يتقاطع أبدًا مع أناجيل الرسل، فعلى كلّ من يبتغيه أن يعلم ذلك" (**ضدّ الهراطقة** III/١١، ٨).

بين الغنوصيّين، يعود الفالنتينيّون وحدهم إلى الأناجيل القانونيّة في معرض كلامهم عن التعاليم المسيحيّة، ويمكن تلخيص تعليمهم بالتالي:

١- الآب هو المبدأ المطلق والمتعالي، هو لامنظور ولامفهوم. يتّحد بشريكته (الفكر)، ويولد ١٥ زوجًا من الأيونات، مشكّلاً بذلك "الملء" (plérôme). أرادت الحكمة وهي آخر الأيونات، أن تعرف الآب، فتسبّبت بأزمة أدّت إلى ظهور الشرّ والرغبات، وعندما رُفِضت هي ومخلوقاتها أنتجت حكمة سفليّة.

خُلِق في العلى زوج آخر هو المسيح والروح القدس شريكته الأنثى. ومن جديد ولَد الملء، بعد أن عاد طاهرًا، يسوع المخلّص. بنزوله إلى المناطق السفلى، مزج المخلّص المادّة، المتأتّية من الحكمة السفلى (الهيوليّة hylique)، مع العناصر النفسيّة (psychiques)، لكنّ العناصر الآتية من الحكمة العليا، دخلت في نَفَس الوسيط (Démiurge)، وولدت "الروحيّين".

٢- نزل المسيح إلى الأرض ليكشف المعرفة المحرِّرة. هكذا، سيعود "الروحيّون"، وقد أيقظتهم المعرفة، فيصعدون إلى الآب، وسيترافق فداء آخر "الروحيّين" مع نهاية العالم، أي المادّة.

٣- للمادّة أصل روحيّ. إنّها حالة، تشكّل تعبيرًا خارجيًّا للكائن المطلق:

– الجهل (عمى الحكمة) هو سبب الوجود الأوّل للعالم.

– المعرفة هي الحالة الأصليّة للمطلق.

السطور الأولى من "إنجيل الحقيقة" المتمحورة حول المعرفة والخلاص، تضع القارئ في جو غنوصيّ أكيد. هذه المعرفة الفوقطبيعيّة، التي كشفها اللوغوس، تؤدّي إلى الخلاص بواسطة معرفة الزرع الروحيّ الذي يحمله كلٌّ منا. إنّها عودة الإنسان إلى معرفته لذاته السُميا (ص ٢١-٢٢)، والصعود من جديد نحو المبدأ، شرط الوعي إلى "الذات" الإلهيّة؛ فالذات هي إذًا مبدأ الخلاص العظيم كما هو الحال في الأفلاطونيّة. صحيح أنّ هذا الخلاص مصبوغ بالمسيحيّة، لأنّ الأمر يتعلّق بمجيء المسيح، لكنّ الغنوصيّة أعطت المسيحيّة معنى وثنيًّا انطلاقًا من أسطورة السقوط الأفلاطونيّة.

الترجمة العربيّة الكاملة لإنجيل الحقيقة [٢]

I – إنجيل الحقيقة يعنى فرحًا ورجاء للغنوصيّين المختارين (١٦: ٣١-١٧: ٦)

(١٦: ٣١) إنجيل الحقيقة[٣] فرح (٣٢) للذين تلقّوا النعمة من لدن (٣٣) أب الحقّ، الذي جعلهم يعرفون (٣٤) بقدرة اللوغوس، هو الذي جاء من الملء[٤]، هو الملازم للفكر (٣٦) ولعقل الآب، الذي (٣٧) أُعلن مخلّصًا؛ (٣٨) لأنّ هذا هو اسم

(٢) ارتكزت هذه الترجمة إلى أعمال جاك مينارد.
Jacques E. MÉNARD, *L'Évangile de la vérité. Rétroversion grecque et commentai*re, Letouzey &Ané, Paris 1962.

(٣) يمكن لعبارة "إنجيل الحقيقة" أن تقودنا إلى "إنجيل الحقّ" الفالنتينيانيّ الذي يذكره القدّيس إيريناوس (**ضدّ الهراطقة** III: ١١، ٩). تظهر عبارة "إنجيل" والتي تعني "البشرى السارة" في ٣٤: ٣٥. النصّ هو تأمّل في الحقيقة التي هي الإنجيل، يبدو كأنّه أطروحة عن الحقيقة، يحاول فيها الكاتب أن يشرح رسالة الحقيقة التي حملها المسيح إلى العالم، فأتى النصّ بشكل عظة تشدّد على الفرح بالحقيقة، من خلال اكتشاف الإنسان لأصله الإلهيّ.

(٤) إنّ في هذه الآية تأثيرًا يوحنويًّا (يو ١: ١٦). وسترد عبارة "النعمة" في ٣٦: ٣، ٥، ٧. هذه النعمة التي تسمح بمعرفة الآب، تُظهر طابع هذه المعرفة الفوقطبيعيّ. لكن كلّ شيء، حتّى النعمة، يخضع لَلعلم. أمّا عبارة "أب" (آ ٣٣) في هذا "الإنجيل"، فتدلّ دائمًا على الله (لا نجد كلمة "الله" سوى مرّة

العمل، الذي (٣٩) يجب أن يتمّمه لخلاص من (١٧: ١) يجهلون الآب، لأنّ الاسم [...] [٥] (٢) إنجيل هو ظهور (٣) الأمل، الاكتشاف (٤) لكلّ الذين يفتشون عنه. في الحقيقة،

II– سقوط الأيونات وولادة العالم الأرضيّ (ص ١٧: ٦ –١٨: ١١)

(٥)"الكلّ" كان في بحث عن الذي (٦)منه خرج[٦]، و"الكلّ" (٧)كان فيه، اللامدرَك، (٨)اللامعقول، (٩)اللامفهوم، لأنّ (١٠)الجهل للآب أدّى إلى الغمّ (١١)والخوف. الغمّ (١٢) تكثّف كالضباب (١٣)بحيث لم يقدر أحد أن يرى؛ (١٤) لذلك ترسّخ الخطأ. (١٥)صنع مادّته (١٦)في الفراغ، (١٧)بما أنّه لم يكن يعرف الحقيقة. (١٨)أتى في عمل، (١٩)جاهدًا لصياغة، بجمال، (٢٠)المرادف للحقيقة[٧]. (٢١)لم يكن ذلك إذلالاً(٢٢)للاّمدرَك، اللامعقول، (٢٣)لأنّ ذلك لم يكن شيئًا، الغمّ (٢٤)والنسيان وعمل (٢٥)الكذب هذا، (٢٦)لأن الحقيقة ثابتة، (٢٧)لا تتغيّر، لا تتزعزع، كاملة الجمال. (٢٨)لذلك احتقروا الخطأ[٨]. (٢٩)بما أنه هكذا (٣٠)بلا جذور، كان في (٣١)ضباب تجاه الآب، (٣٢)في حين كان يُعِدّ أعمالاً و (٣٣) نسيانًا وتخوّفات كيما يجذب (٣٤)بفضلهم من (٣٥)هم في الوسط ويسجنهم[٩]. (٣٦)نسيان الخطأ (٣٧)لم يُظهَر. هو ليس كـ.........

واحدة في ٣٧: ٣٣). والأب هو "مبدأ الكلّ"، ممّا يعود بنا إلى الفلسفة الهلّينيّة من رواقيّة و هرمسيّة، ويدخلنا في إطار الغنوصيّة التي هي في جوهرها وعيٌ لبنوّة الإنسان "الروحيّ" الإلهيّة؛ فالغنوصيّ يؤمن بأنّه يتحدّر من الله مباشرة، وهو متّحد به في الجوهر، لأنّه انبثاق من الجوهر الإلهيّ الذي وضع فيه زرعه (٣٦: ٣٦؛ ٤٣: ١٤). والفعل "عرف" يعني في الكتابات الغنوصيّة تلك المعرفة الخاصّة، على ما نجده في "إنجيل مريم" و"منحول يوحنّا" و"حكمة يسوع المسيح" و"إنجيل يهوذا"... أمّا في عبارة "قدرة اللوغوس" (آ ٣٤) فعودة إلى الفلسفة الهلّينيّة، حيث اللوغوس هو قوّة كونيّة خالقة، ومصدر المعرفة التي تتحوّل إلى عقيدة خلاصيّة، لأنّه هو من يكشف الأسرار الإلهيّة. لا يتكلّم هذا "الإنجيل" عن المسيح سوى مرّتين فقط (١٨: ١٦؛ ٣٦: ١٤)، في حين يذكر اللوغوس بشكل دائم. هذا من ميزات الغنوصيّة التي لا تعطي ليسوع التاريخيّ سوى أهمّيّة قليلة جدًّا. في آ ٣٨ يحاول النصّ أن يعلّم عقيدة خلاص مفادها أنّ هدف فداء العالم والإنسان هو إقفال دائرة صيرورة الإنسان. هذا ما تمّ عندما نزل اللوغوس بملئه إلى العالم، وحلّ في الإنسان الأرضيّ، ودلّ البشر إلى الطريق وأعطاهم القوّة للعودة إلى أصولهم. ويقوم واجب الإنسان بالتخلّي عن الإنسان اللحميّ والنفسيّ والعودة إلى اللوغوس الذي يملأه من الداخل، وإلى الروح، فيتحول إلى "روحيّ". بالعلم يتوصّل الإنسان إلى اللاموت (آ٣٩). في هذا النصّ لا ذكر للمخلّص إلاّ هنا، في ما بعد لن يكون ذكر إلاّ للّوغوس. المخلّص هو اللوغوس، لكنّ النصّ مبهم قليلاً، بحيث يمكننا أن نعتقد بأنّ المخلّص–اللوغوس هو "الاسم"، كما هو واضح في ص ٣٨ي، مع أنّ "الاسم" هنا هو هذا "الإنجيل" (١٧: ١–٢).

(٥) "الجهل" هو نقص المعرفة اللازمة للوصول إلى خلاص النفس، أي العلم عن الله وعن مصير الإنسان. في هذا الجهل يغرق البشر، طالما لم يتلقّوا الكشف، أي طالما لم يؤمنوا به لأنّهم في حالة سكر (٢٢: ١٥ي). أمّا مَن يفتّش فهي الأيونات التي تبحث عن الآب، كما سيظهر في ما سيلي.

(٦) الملء يبحث عن اللوغوس المخلّص، كذلك تفعل الأيونات لأنّ مصير العالم يتمّ أوّلاً في الملء، ثمّ يتحقّق في الأرض. "الكلّ" أو "الملء" هو في داخل الألوهة التي تحتوي في ذاتها كلّ قوّة "الكلّ"، لذلك يستطيع المخلّص أن ينتج الانبثاقات، وأن يتماهى مع الآب الأسمى من كلّ الأيونات. تبحث الأيونات عن الآب دون هوادة، في داخل ذواتها، وبحثها هذا هو مصدر راحتها لأنّ الآب يجب أن يبقى اللامدرك واللامفهوم؛ فيوم أرادت "الحكمة"، وهي أحد الأيونات، دخول سرِّ الآب حدثت السقطة المميتة.

(٧) والجهل هو سبب الرغبات، مثل الغمّ والخوف، وهي رغبات الحكمة الساقطة من الملء، والتي توقفت في سعيها نحو المسيح – النور، كما هي رغبات النفس التي تهيم في العالم. كلّ ما هو خارج الملء والمعرفة ضباب متّحد بالفراغ. الخطأ هنا عقليّ أكثر منه أخلاقيّ. نجد هذه الثنائيّة بين الخطأ والحقيقة في كتابات قمران. وإن وجدنا عبارة "الخطأ" في أف٤: ١٤؛ ١يو ١: ٥–٧، ٨؛ ٢ يو ١١، ٢١، ٢٦؛ ٣ يو ٣، فإنّ الثنائيّة التي يستتبعها هي ثنائية أخلاقيّة أكيدة، وبعيدة كلّ البعد عن عقلانيّة هذا النصّ.

(٨) هذا الخطأ هو الذي صنع المادّة، وفي ذلك عودة إلى الأفلاطونيّة والرواقيّة. حاول الخطأ أن يتساوى مع الحقيقة، لكنّه غير قادر أبدًا أن يطال "الكائن". غالبًا ما استعملت الفلسفات اليونانيّة كلمة "النسيان" للدلالة على جهل العالم السفليّ (رج ١٨: ١)، وهو حالة شبيهة بالسكر (رج ٢٢: ١٧)، ويختفي بالمعرفة، لأنّه يخلق في الإنسان حالة نوم، هي خصوصيّة الجهّال، والعميان، والغارقين في العالم الماديّ. حالة النسيان هذه، هي بكلّ بساطة عدم القدرة على المعرفة. الحقيقة ثابتة كما الآب. وتؤكّد الجملة ٢٧ أنّ الآب لا شيء لأنّه يعلو فوق الكينونة واللاكينونة. وبما أنّ الخطأ غير متجذّر في الألوهة، يجب احتقاره والوعي أنّ كلّ ما لا يخصّ الملء هو في الظلّ، في الضباب.

(٩) الذين في الوسط هم "الذوات" اللواتي سقطن في المادّة، والذين يجب أن يتقدّموا في معرفة الآب، ممّا يعني بلغتهم أن يسعى الزرع الإلهيّ إلى الكمال. أمّا كيف يكون ذلك، فبقبول الكشف والنور، فلا يبقى الإنسان في الظلمة والظلّ. الكشف يختصّ بالمعرفة والنور، ولا يمكن أن يُطبّق ذلك على النسيان.

III– يسوع يكشف الإنجيل للمختارين (١٨: ١١ – ١٩ : ٧)

(١)[...] قرب الآب[١٠]. النسيان (٢)لم يكن يوجد في الآب، (٣)مع أنّه أُنتج بسببه. (٤)بالمقابل، ما أُنتِج فيه هو المعرفة، (٥)هي التي أُظهرت، (٦)كيما يبطُل الخطأ (٧)ويُعرف الآب. (٨)لأنّ النسيان قد وُجد (٩)لم يُعرف الآب، إذًا، إن (١٠)عُرف الآب، (١١)لن يحدث النسيان أبدًا. هوذا هنا (١٢)إنجيل مـ(ن) يُبحث عنه، (١٣)الذي أُظهر لـ (١٤)الكاملين بفضل مراحم (١٥)الآب[١١]. سرّ مخفيّ[١٢] (١٦)به يسوع المسيح[١٣] (١٧)أنار[١٤] الذين (١٨)هم في الظلام بسبب النسيان. أنارهم (١٩)دلّهم على طريق، والحال أنّ (٢٠)الطريق هو الحقيقة الذي (٢١)علّمهم إياه[١٥]. بسبب ذلك، (٢٢)غضب الخطأ عليه (٢٣)لاحَقَه، أساء معاملته، (٢٤)ألغاه. سمّروه على خشبة[١٦]، (٢٥)صار ثمرة معرفة الآب[١٧]؛ (٢٦)لم يكن سبب الهلاك (٢٧)للذين أكلوا منها. على عكس ذلك، للذين أكلوا منها (٢٨)كان سبب فرح (٢٩)بسبب الاكتشاف، (٣٠)اكتشفهم فيه (٣١)واكتشفوه فيهم، (٣٢)اللامدرك واللامعقول (٣٣)الآب الكامل، (٣٤)الذي صنع الكلّ، الذي فيه (٣٥)الكلّ والذي يحتاجه الكلّ[١٨]؛ (٣٦)لأنّه يحتفظ بكمالهم (٣٧)فيه، ولم يعطه (٣٨)للكلّ. (٣٩)ليس لأن الآب غيور؛ فأي غيرة (٤٠)يمكنها أن توجد بينه وبين أعضائه؟[١٩] لأنه بذلك (١٩: ١)(كان) الأيون منهم، (٢)لما كان بإمكانهم الصعود [...] نحو (؟) (٣)الآب، هو الذي يحتفظ (٤٩)بكمالهم فيه بالذات (و) (٥)يعطيهم إيّاها تحت شكل توبة إليه (٦)ومعرفة فريدة بالكمال، (٧)هو الذي صنع (٨)الكلّ والذي فيه الكلّ (٩)والذي يحتاجه الكلّ. (١٠)كما أنّ (١١)من هو غير (١٢)معروف من الكثيرين يرغب (١٣)في أن يُعرف و (١٤)يُحَبّ، هكذا – ما (١٥)الذي يحتاجه الكلّيّ القدرة في الواقع، (١٦)غير معرفة (١٧)الآب؟ [٢٠]–

IV– يسوع، الحكماء والأطفال (١٩: ١٧–٣٤)

صار دليلاً (١٨)ساكنًا وهادئًا. (١٩)دخل مدرسة، وشرح

(١٠) في محاولة لشرح يو ١: ١–٤، يعلن الكاتب أنّ الملء هو دائرة العلم التي تقابلها دائرة الجهل. ولكن لا وجود للجهل بذاته، فعمق الله اللامفهوم هو سبب وجوده. هذا أحد المواضيع الأهمّ في هذا الكتاب، والتي تشكّل الفرق الأهم بين بحث الأيونات الهاديء للآب، والبحث الشغوف الذي يتميّز به من نسوا أصلهم الحقيقيّ، أي الله المتعاليّ، اللامدرَك واللامفهوم. أمّا دمار الجهل فلن يتمّ إلاّ بالمعرفة وإعادة اكتشاف الإنسان الداخليّ بذاته، فيتمّ الفداء.

(١١) لنا هنا تفسير غنوصيّ للآية اليوحنّويّة (يو ١٥: ٣)؛ لكنّ الثنائيّة الماورائيّة بين الحقيقة (العلم) والخطأ (النسيان) تبدو كصراع بين هذين الضدّين. بالمجيء إلى "الذات الحقّ" خلاص.

(١٢) هنا عودة إلى العبارة "السرّ" المسيحيّة (أف: ٣–٤، ٩؛ ٦: ١٩؛ كول ١: ٢٦)؛ فالمعرفة هي العلم المكشوف عن الأشياء المقدّسة.

(١٣) هنا يذكر النصّ "المسيح"، وهي المرّة الوحيدة إضافة إلى ٣٦: ١٤؛ فعادة لا يتكلّم النصّ إلاّ عن اللوغوس الذي يشكّل المسيح–المخلّص انعكاسًا له.

(١٤) يَرِدُ فعل أنار، مع أنّه غنوصيّ، كثيرًا في العهد الجديد (١ كو ٤: ٥؛ ٢ تم ١: ١٠؛ يو ١: ٥؛ يو ٨: ١٢؛ ٧: ٣٥، ٤٦؛ ١ يو ٢: ٩، ١١).

(١٥) كأنّنا أمام شبه استعادة لآية يوحنّا ١٤: ٦. لكنّ دور المسيح المعلّم يطال الأيونات أيضًا وليس الغارقين في الجهل المادّيّ فقط.

(١٦) ربّما نكون أمام إشارة إلى آلام المسيح التاريخيّ، لكنّ الكاتب الغنوصيّ يعيد هذه الأحداث إلى اللاتاريخيّة أو بالأحرى إلى الأسطورة. وربّما يكون كلّ ذلك صورة لما تعانية "الذات" الروحيّة في العالم المادّيّ. يذكر النصّ "الخشبة"، كما هو الحال في أع ٥: ٣٠؛ ١٠: ٣٩، لكن مع إمكانية معنى شجرة الحياة (رج رسالة برنابا ١١: ٦)؛ فالصلب لا علاقة له بصلب المسيح التاريخيّ، بل هو رمز لسجن "الذات" الروحيّة في الخطأ وقدريّة هذا العالم السفليّ. مسيح هذا النصّ هو الآدم الذي، بعد سقوطه في هذا العالم، نهض في اكتشافه لذاته، وعاد إلى أصوله الإلهيّة، ساعة عرف أنّه مسجون وتحرّر باكتشافه طبيعته الروحيّة الحقيقيّة.

(١٧) المسيح هو "الثمرة" الكاملة، أي أنّه إنتاج الجيل الروحيّ. ومن يأكل من شجرة الحياة هذه، أي ثمرة العلم التي هي الصليب، يخلصون أو بالأحرى هم خالصون بطبيعتهم؛ فالمعرفة ككشف الأسرار للمنشّأين هي سبب نور وفرح.

(١٨) تبدو آ ٣٤–٣٥ كتفسير لنصوص من العهد الجديد (١ كو ٨: ٦؛ أف ٤: ٦؛ كول ١: ١٧)، لكن على الطريقة الغنوصيّة.

(١٩) ظهر النقص عند الأيونات في الملء، قبل أن يظهر على الأرض، ولا بدّ من دعوة الأعضاء إلى الوحدة.

(٢٠) يؤكّد النصّ أنّ التوبة ليست سوى اكتشاف "الأنا" والصعود من جديد إلى الأصول، أي توبة إلى الذات وإلى المسيح المحيي. الأيونات بالذات بحاجة إلى الآب لأنّهم بدونه ناقصون.

(٢٠)اللوغوس كمعلّم. (٢١)أتى إليه الحكماء (٢٢)الذين اعتبروا أنفسهم كذلك(٢١)، (٢٣)ليجرّبوه(٢٢)، لكنّه (٢٤)أخزاهم، لأنّهم كانوا في الفراغ. (٢٥)كرهوه، (٢٦)لأنّهم لم يكونوا حكماء حقًّا.(٢٧)بعد هؤلاء جميعًا (٢٨)أتى إليه أيضًا أطفال صغار (٢٩)يملكون (٣٠)معرفة الآب(٢٣). بعد أن تثبّتوا، (٣١) تعلّموا أشكال (٣٢)وجه الآب. عَرفوا و(٣٣)عُرفوا ، مُجّدوا (٣٤)ومَجّدوا (٢٤).

V– كتاب الأحياء (١٩ : ٣٤ – ٢٠ : ٢٧)

كُشِف في قلوبهم(٢٥)، (٣٥) الكتاب الحيّ (٣٦) للأحياء، المكتوب في (٣٧) فكر عقل (٢٠: ١)الآب(٢٦)، والموجود منذ قبل تأسيس (٢)الكلّ في (٣)لا إدراكيّته، (٤)هو الذي لا يمكن لأحد أن يأخذه، لأنّه (٥)محفوظ لمن سيأخذه والذي (٦) سيُصلب. لا أحد من (٧)الذين آمنوا (٨)بالخلاص تنشأ طالما هذا الكتاب (٩)لم يظهر. (١٠)لذلك فإنّ الرحوم الأمين (١١) يسوع صبر ، قابلاً الضربات، (١٢)إلى أن أخذ هذا الكتاب، (١٣)لأنّه يعلم أنّ موته (١٤)سيكون حياة لكثيرين(٢٧). (١٥) فكما أنّه في وصيّة لم تُفتح بعد (١٦)خُبِّئَت ثروة (١٧)سيّد البيت المتوفى، (١٨)كذلك الكلّ كان مخبوءًا (١٩)طالما كان الآب (٢٠)لامنظورًا، الـ(٢١)لامولود، الذي منه (٢٢)تأتي كلّ المساحات(٢٨). (٢٣)لذلك ظهر يسوع، ارتدى هذا

(٢١) ربما تكون آ ١٨–٢٠ تذكير بلوقا ٢: ٤٦–٤٩ أو بإنجيل الطفولة العزيز على قلب الغنوصيّين. المسيح المعلّم هو "الذات" الحقيقيّة التي تنير، وهو بالتالي المعلّم الحقّ.

(٢٢) تتردّد عبارة "يجرّبوه" بكثرة في الأناجيل القانونيّة بالكلام عن المجادلات بين يسوع والرابينيّين (مت ١٦: ١؛ ١٩: ٣؛ ٢٢: ١٨، ٣٥؛ مر ٨: ١١)، وكما في العهد الجديد، كانت النتيجة خزيهم (رو ١: ٢١ي؛ ١ كو ١: ٢٧).

(٢٣) الفرق بين حكماء هذا العالم والأطفال، هو مثال الولادة الروحيّة الجديدة، هو أيضًا موضوع من العهد الجديد (مت ١١: ٢٥؛ لو ١٠: ٢١)، لكنّه أخذ معنى غنوصيًّا مفاده أنّ معرفة الآب هي سبب الراحة، على عكس هذا العالم الغارق في الغم والخوف. في اكتشاف الآب يتثبّت الأطفال، لأنّ في ذلك روحنة الإنسان، فيستنير وينتفي الجهل. في العقيدة الغنوصيّة، الملائكة، "العظماء" الذين يتأمّلون وجه الآب هم أشكال تجذب الأشكال إلى العلى، أي تجذب الغنوصيّين أو "الروحيّين"، انعكاسات الآب.

(٢٤) نجد هنا تأثير مسيحيّ أكيد، وبولسيّ بشكل خاصّ (١ كو ٨: ٢–٣؛ ٨: ١٢؛ غل ٤: ٩)، لكنّ الكاتب يغيّر المعنى فيجعل الأساسيّ فيه التداخل بين "العلّة" و"المادّة". هذه الأشكال هي الأيونات التي يجب أن تمجِّد وتمجَّد. في رو ٨: ٣٠ المطلوب هو تمجيد الآب الذي يمجِّد الأبرار.

(٢٥) كاتب هذا "الإنجيل" غنوصيّ لا يهتمّ بالكون أكثر من اهتمامه الشغوف بكلّ ما يتعلّق بالعالم الماورائيّ، هو إنسان مأخوذ بالله وبالإخوة، يستعمل لغة عاطفيّة ترتكز على القلب. في الكلام عن "الكتاب" في ١٩: ٣٥–٣٦ عودة إلى رؤ ٨: ٨ (رج مز ٦٨: ٢٩؛ فيل ٤: ٣؛ رؤ ٣: ٥؛ ٢٠: ١٢، ١٥؛ ٢١: ٢٧)، كما إلى الكتابات الغنوصيّة المسيحيّة–اليهوديّة (أناشيد سليمان ٢٣)، لكنّ التأثير المسيحيّ محدود لمصلحة التأثير الغنوصيّ الهلّينيّ؛ فالكتاب هو قرب اللوغوس في الملء؛ إنّه الوصيّة التي تذكّر النفس بأصولها السماويّة، ومناسبة لوعي الذات.

(٢٦) في هذه الآية عودة إلى أف ١: ٤؛ وفي ٢٠: ٥ تذكير بـ رؤ ٥: ٢–٤؛ ٥: ٩؛ ٨: ٨، لكنّ الواضح من خلال ٢٠: ٨ أنّ الخلاص يجب أن يُفهم دائمًا بالمعنى الغنوصيّ، أي "العلْم" مع أنّ فكرة الرحمة هي فكرة بيبليّة بشكل أكيد (مز ٦٨: ١٥).

(٢٧) لا يظهر "يسوع" التاريخيّ في "إنجيل الحقيقة" إلا نادرًا (رج ١٨: ١٦ و ٣٦: ١٤)، ولن يأخذ يسوع التاريخيّ اهتمامًا خاصًّا فيه، فسريعًا ما سيعود إلى الرمزيّة، بحيث يصبح يسوع أسطورة الأصل السماويّ الذي على كلّ إنسان أن يعيها. يتألّم المخلّص حتّى صعوده إلى الملء حيث يأخذ الكتاب فيصبح حياة. موته نبع حياة بمقدار ما يكشف للإنسان أصله الإلهيّ (رج ١٠: ٤٥). لنا هنا عودة إلى مر ١٤: ٢٤، لكنّ الكاتب أفرغ من بعدها هذه الآية من التاريخيّ ليفسّرها بشكل رمزيّ: الوصيّة هي الكنز أو جوهر الآب. جمع الكاتب العديد من نصوص العهد الجديد بطريقة تناسبه، فغيّر صيغة الأفعال إلى المستقبل، كما في الجملة ٦ حيث الفعل "سيُصلب"، ممّا يجعل القارئ في جو جليانيّ، خارج الزمن، في الوقت الذي يستعمله العهد الجديد بصيغة الماضي.

(٢٨) كما تكشف الوصيّة ثروة المتوفّى، كذلك يكشف "الكلّ" جوهر الآب. ويستعمل النصّ مرارًا عديدة الفعل "خبّأ/أخفى" (١٨: ١٥؛ ٢٠: ١٦، ١٩؛ ٢٤: ١٢، ١٣؛ ٢٧: ٨؛ ٣٩: ٢١؛ ٤٠: ٢٨)، وفي ذلك صفة من صفات الله السلبيّة والعزيزة على الغنوصيّة التي تُظهِر من خلاله الفرق الشاسع بين "الروحيّين" والجهّال، في حين لا يستعمله الكتاب المقدّس إلا للدلالة إلى المسافة التي تفصل بين الخالق وخليقته (ص ٣١). قالت الديانات بأنّ الله لامنظور، لكنّ الغنوصيّة عرفت كيف تجمع إلى هذه الصفة أنّ الإنسان، عندما يتألّه بتقرّبه من الله يمكنه أن يتأمّله.

الكتاب[٢٩]. [٢٥]سُمِّر على خشبة[٣٠] [٢٦]؛ كتب حكم

VI– نشيد تماجيد (٢٠: ٢٧–٣٤)

[٢٧]الآب على الصليب. يا [٢٨]للتعليم العظيم! [٢٩] تواضع حتّى الموت، [٣٠]فلبسته الحياة (الأبديّة)[٣١]. بعد أن تجرّد [٣١]من الأسمال البالية، [٣٢]لبس عدم الفساد، [٣٣]ما لا يستطيع أحد أن [٣٤]ينزعه منه.

VII– وحدهم المختارون يتسلّمون رسالة يسوع (٢٠: ٣٤–٢٢: ٢٠)

بعد أن دخل [٣٥]في الأماكن الفارغة [٣٦]للخوف، مرّ [٣٧]بين الذين عرّاهم [٣٨]النسيان، صائرًا معرفة [٣٩]وكمالاً، معلنًا ما هو في قلب[٣٢] [٢١: ١](الآب) كي (؟)[...] [٢]يعلّم تلاميذه. [٣]التلاميذ، أي [٤]الأحياء، المكتوبون في كتاب[٣٣] [٥]الأحياء، تلقّوا التعليم [٦]لذاتهم[٣٤]. يتلقونه [٧]من الآب الذين يلتفتون [٨]نحوه من جديد. لأنّ كمال [٩]الكلّ هو في الآب، [١٠]من الضروريّ للكلّ أن يعودوا للصعود نحوه. [١١]إذًا، من يعلّم [١٢]يأخذ ما هو [١٣]خاصّته ويجذبه [١٤]إليه. لأنّ من هو جاهل [١٥]ضعيف هو، [١٦]وينقصه الكثير، لأنّه [١٧]ينقصه ذلك الذي [١٨]يجب أن يكمّله. لأنّ كمال [١٩]الكلّ في الآب، من الضروريّ [٢٠]أن يتّجه الكلّ نحوه [٢١]وأنّ كلّ أحد [٢٢]يأخذ ما هو خاصّته. [٢٣]كتبهم مسبقًا، [٢٤]مهيّئًا إياهم[٣٥] [٢٥]ليعط (هـ) لمن أتوا منه. هؤلاء [٢٦]الذين عرف اسمهم مسبقًا [٢٧]دُعوا للنهاية[٣٦]، [٢٨]بحيث أنّ من يملك المعرفة، هو من [٢٩]اسمه دُعيَ من قبَل [٣٠]الآب. لأنّ من [٣١]لم يُدعَ اسمه هو جاهل. [٣٢]في الواقع، كيف يمكن لأحد [٣٣]أن يسمع، إن كان اسمه [٣٤] لم يكن قد دُعيَ؟ لأنّ من هو جاهل [٣٥]إلى النهاية هو عمل [٣٦] النسيان و [٣٧]سيدمّر معه. وإلاّ [٣٨]لماذا لا يملك هؤلاء البؤساء؟ [٢٢: ١]اسم ولماذا لا يكون [٢]لهم صوت؟ [٣]بحيث من له المعرفة [٤]هو كائن من علُ. إن كان مدعوًّا [٥]يسمع، يجيب [٦]ويتّجه نحو الذي يدعوه. [٧]يصعد نحوه من

(٢٩) يمكن أن تكون فكرة الرداء بولسيّة، على حسب ما نقرأ عند الرسول عن الجسد السماويّ الذي يجب أن يرتديه (٢ كو ٥: ٣)، أو عن درع البرّ الذي يجب أن يلبسه (أف ٦: ١٤)؛ (لكن يمكننا أن نظنّ بأنّ القدّيس بولس استعمل، كما كاتب هذا النصّ، صورًا كانت الطقوس اليونانيّة تستعملها (طقوس إيزيس حيث ترتدي الكاهنة رداء مكسوًّا بالنجوم). أمّا عبارة "الكتاب" فربّما يجب فهمها بطريقة أسطوريّة تشير إلى "الملء" السماويّ المصدر. عندما يرتديه المسيح يصبح مثالاً لكلّ إنسان، مكسوًّا بالحماية الإلهيّة في مواجهة "القوّات" التي يمكن أن تمنعه من دخول "الملء" عند صعوده نحو الدوائر الكونيّة.

(٣٠) هنا يتكلّم النصّ عن صلب المسيح بعد أخذه الكتاب، في حين نجد العكس في آ ١١–١٢، وكأنّ الكاتب ضائع في اللازمن. لا يستعمل الكاتب العبارات التي يستعملها التقليد الرسوليّ القديم في الحديث عن صلب المسيح (أع ٢: ٢٣؛ ٥: ٣٠)، بحيث لا يعود هذا الأمر، وهو العنصر الأهمّ في العهد الجديد ،شبيهًا بما فهمه المسيحيّون الأوائل.

(٣١) يتألّف هذا النصّ من استشهادات بولسيّة (فل ٢: ٨؛ ١ كو ١٥: ٥٣–٥٤؛ ٢ كو ٥: ٢–٤؛ كول ٢: ١٥). الحياة الأبديّة موضوع نقرأه في غالبيّة الأعمال الغنوصيّة (منحول يوحنّا). والمخلِّص الذي يرتدي عدم الفساد هو رمز "الروحيّ" المخلَّص والذي لا يمكن أن يخسر خلاصه، لأنّه تماهى مع "ذاته".

(٣٢) فهم هذا الكتاب عبور المخلِّص الذي أتى للبحث عن شبيهه، كأسطورة. صار موت المسيح أسطورة تخليص نفس العالم من المادّة وإعادة إصعادها نحو "الملء". في ٣٧ عودة إلى ٢ كو ٥: ٣ لكن بمعنى آخر لأنّ بولس يتكلّم عن جسد سماويّ.

(٣٣) في هذا النصّ إشارات إلى مراجع كتابيّة (مز ٦٨: ٢٩؛ فل ٤: ٣)، لكنّها لا تعتبر أنّ الحياة الماورائيّة مرتكزة على البرّ (مز ٦٨: ٢٨)، بل مجرّد حالة عدم فساد، يمكن الوصول إليها بالعلم. وثنائيّة الغنوصيّة الماورائيّة تجعل حياة كهذه مستحيلة في هذا العالم، لأنّ حياة هذا العالم ليست سوى ظاهريّة. نجد هنا الثنائيّة بين الروح والمادة واضحة، ولكنّها ليست الثنائيّة البيبليّة بين هذا العالم الحالي والعالم الآتي. ويتوضّح الأمر في ص ٢١–٢٢ حيث الحياة هي الوعي لـ"الذات" خارج المادّة، وبالتالي التحرّر من كلّ قوى الوجود الإنسانيّ، أي نفي للذات.

(٣٤) هنا مثال للباطنيّة الغنوصيّة التي تفصل تمامًا بين "الروحيّين" والجهّال.

(٣٥) هنا توضيح أنّ التوبة إلى الآب–الذات تتطابق مع وعي الإنسان واكتشافه لذاته ولأصله الإلهيّ. "ذات" الغنوصيّ هي شرارة من الجوهر الإلهيّ، لذلك يجب أن يعود إلى الآب. و"الروحيّون" هم الزرع المهيّأ لتقبّل اللوغوس الكامل. إنّنا عقيدة غنوصيّة عن مصير الغنوصيّ المقرّر مسبقًا.

(٣٦) نجد مجموعة جديدة من الأقوال البيبليّة (أش ٤٥: ٣؛ يو ١٠: ٣؛ رو ٨: ٣٠)، لكن بالمعنى الغنوصيّ؛ فـ"الذات" غير مفهومة إلاّ مقدار ما هو معروف من قبَل الآب. في التماهي بين اسم كائن ما وكيانه الجوهريّ عودة إلى التقاليد الشرقيّة القديمة التي تعتبر أنّ الاسم المعطى للإنسان هو سبب كيانه الإنسانيّ (تك ١: ١٩). أمّا النهاية فسوف تتمّ عندما يتنشّأ كلّ عنصر "روحيّ"، ويصبح كاملاً بالمعرفة.

جديد. و[٨]يعرف كيف يُدعى[٣٧]. [٩]مالكًا المعرفة ، يعمل [١٠]إرادة الذي دعاه، [١١]يريد أن يكون مستحبًّا لديه، [١٢]يحصل على الراحة، اسمه الخاصّ [١٣]ملكٌ له. من سيملك المعرفة هكذا [١٤]يعرف من أين أتى [١٥]وإلى أين يذهب؛ [١٦]يعرف مثل [١٧]أحد ما سكر ثم عاد عن [١٨]حالة سكره، تمّم دورة على [١٩]ذاته وأعاد ما هو خاصّته[٣٨].

VIII– يسوع يعيد المختارين إلى العالم العلويّ (٢٢: ٢٠–٢٧)

[٢٠]ردّ كثيرين [٢١]عن الخطأ[٣٩]، [٢٢]سبقهم إلى أمكنتهم [٢٣]، التي ارتدّوا عنها [٢٤]عندما ضلّوا [٢٥]بسبب عمق الذي يحيط [٢٦]بكلّ المساحات [٢٧]وغير المحاط بأحد[٤٠].

IX– سقوط الأيونات أعجوبة (٢٢: ٢٧– ٢٣: ١٨)

لأنّها كانت أعجوبة كبيرة [٢٨]أن يكونوا في الآب [٢٩]دون أن يعرفوه، و [٣٠]أن يستطيعوا الخروج بنفسهم، [٣١]بما أنّهم لم يكونوا قادرين على [٣٢]فهم أو معرفة الذي [٣٣]كانوا فيه[٤١]، لأنّه ليس بهذه الطريقة [٣٤]ظهرت [٣٥]إرادته[٤٢]. في الحقيقة أظهرها [٣٦]في سبيل معرفة [٣٧]تُقنع كلّ المنبثقات. [٣٨]هذه هي معرفة [٣٩]الكتاب الحيّ[٤٣] الذي كشفه. [٢٣ : ١]للأيونات إلى النهاية، كما من [منبثقات الـ] [٢]المكشوف/ة[٤٤]... [...]. [٣]لأنّها ليست أحرف علّة أو [٤–٥]أحرفًا صامتة، [٦]بحيث من يقرأ [٧]يفكّر عبثًا [٨]، بل هي أحرف [٩]الحقيقة التي يلفظها [١٠]فقط من يعرفها. [١١]حقيقة كاملة هو كلّ [١٢]حرف ككتاب [١٣]كامل، لأنّها أحرف [١٤]مكتوبة بـ [١٥]الوحدة، الآب [١٦]كتبها، كيما الأيونات [١٧]بهذه الأحرف [١٨]تعرف الآب[٤٥].

(٣٧) ينتقل النصّ إلى انطلاقة الوجود ليعتبر بأنّ الصوت الذي خرج من الإنسان الأوّل هو الذي صنع كلّ شيء، مع أنّ المدعوّين وحدهم سمعوا هذا الصوت. "الكائن من علُ" يذكّرنا بيوحنّا ٣: ٣١؛ ٨: ٢٣، وصعوده يعيدنا إلى أف ٤: ٨، ٩، ١٠؛ رؤ ٤: ١؛ ٩: ١٢، فيعمل إرادة الآب (يو ٧: ١٧؛ رو ٩: ١١؛ ١ تس ٥: ٢٤)، ولكن طبعًا بالمعنى الغنوصيّ الذي يرى هذه الإرادة كما "الزرع الإلهيّ" الذي يولّد الولادة الجديدة للإنسان الروحيّ، فيسعى لنيل رضى الله (٢ كو ٥: ٩). أمّا الاسم الخاصّ، فيمكن أن يكون إشارة إلى الاسم الجديد الذي يرمز في المسيحيّة إلى تجديد طبيعة المسيحيّ بالعماد، أو اسم المسيح (رؤ ٢: ١٧؛ ٣: ١٢؛ ١٩: ١٢) للدلالة على العلاقة الحميمة التي تربط المسيح بالنفس المسيحيّة.

(٣٨) يعود الكاتب إلى الدائرة الغنوصيّة المتمثّلة بمعرفة الإنسان لأصله ونهايته: بالولادة الجديدة نولد، وبالعودة إلى الأصول نصل إلى هدف الحياة. المعرفة إذًا، تتضمّن تأكيد الخلاص. أمّا صورة السكر في ١٦–١٩ ففي علاقة مع الجهل، لذلك على الإنسان الخروج من هذه الحالة، الشبيهة بالنوم والتي يتميّز بها الجاهل والأعمى الغارق في المادّة. والوسيلة طبعًا هي التوبة إلى الذات الحقّة، عودة الكلّ إلى الوحدة.

(٣٩) يمكننا أن نظنّ بأنّ النصّ قريب من أع ٣: ٢٦ حيث نجد فكرة الشرّ والخطيئة، لكن هنا لا يتعلّق الأمر إلاّ بالخطأ والنسيان، وهذا من أعظم ما يميّز المسيحيّة عن الغنوصيّة. لا يذكر "إنجيل الحقيقة" أبدًا عبارة "الخطيئة". في الكتاب المقدّس لا يقوم الانفصال بين الله والإنسان بجهل الإنسان لأصله وقدره الإلهيّ، بل بعدم الطاعة للوصايا الإلهيّة. في "إنجيل الحقيقة" الله هو "الكلّ الأعظم" الذي به يقوم كلّ شيء ومنه ينبثق الإنسان كجزء من الكلّ. لا وجود للتاريخ لأنّ الغنوصيّة تختصره بالعلاقة اللازمنيّة بين الإلهيّ والإنسانيّ. وبما أنّ خلاص الغنوصيّ مؤكّد وحاصل، فلا حاجة إلى الشرائع الأخلاقيّة. في هذا الكتاب تمتزج عبارات العهد الجديد مع التيّارات الفلسفيّة الغنوصيّة المختلفة.

(٤٠) الله هو الذي يحيط بكلّ شيء وغير المحاط أبدًا. يمكننا أن نجد هذه الفكرة في الرسائل البولسيّة حيث يستعمل الرسول عبارات من خارج الكتاب المقدّس (رو ١١: ٣٣؛ ١ كو ١: ١٠؛ أف ٣: ١٨)، لكنّ الإيمان وحده يمكنه أن يسمح بمعرفة الله (أف ٣: ١٧). أمّا في "إنجيل الحقيقة" فالغنوصيّة هي التي تسمح بسبر عمق الله، وإلاّ كانت هذه المعرفة خطأً وجهلاً. صحيح أنّ الإيمان والمعرفة غير منفصلان تمامًا في هذا الكتاب، لكنّ تشديد الكاتب على ضرورة المعرفة تسمح باستنتاج مثل هذا الفصل.

(٤١) الابن هو الذي يسمح للأيونات بالفهم أنّ الله غير مدرك، وبدون ذلك السقوط مؤكّد. في الإرادة قوّة الولادة التي تسمح بمعرفة أنّ الله غير مدرك (١٧ : ٦).

(٤٢) إنّ إرادة الآب هي سبب ولادة المنبثقات أو الأيونات المقتنعة بمعرفة كاملة بأنّ الله متعالٍ وغير مفهوم، ممّا يسمح لها بالبقاء أبديًّا.

(٤٣) الكتاب الحيّ هو "إنجيل الحقيقة" أو اللوغوس الكاشف، لكن يمكن أيضًا أن يتعلّق الأمر بتشبيه ما.

(٤٤) هنا عرض للعقيدة الفالنتينيّة التي يشرحها القدّيس إيريناوس: ستكون النهاية الأخيرة عندما، بالمعرفة، يتنشّأ ويصبح كاملاً كلّ العنصر الروحيّ، أي "الروحيّين" جميعًا، الذين يملكون المعرفة الكاملة عن الله، والذين نشّأتهم الحكمة على أسرارها (ضدّ الهراطقة I: ٦، ١؛ I: ٦، ٤؛ I: ٧، ١).

(٤٥) لا يؤمن الكاتب بقدرة الأصوات المادّيّة التي لا يمكن أن تسمح بالتقدّم بالكمال لأنّها من الدائرة الفانية، فأحرف الخلاص الوحيدة هي أحرف الحقيقة بالمعرفة. يظهر في ١١–١٨ الهمّ التربويّ في تنشئة "الروحيّين"، فيؤكّد بأنّ الأحرف قادرة على السماح لهم بفهم الآب. وحدة إلهيّة تجمع بين الحكمة واللوغوس الذي يأخذ هنا صورة شخص وسيط. الأحرف هي التي تفسّر لفظ اللوغوس، وكأنّ المعنى هو التالي: المعرفة تكشف للكاملين أنّ الحكمة تتأمّل اللوغوس، وتعليم المسيح يعلنه، ممّا يجعل من المسيح أسطورة "الذات".

X– أصل اللوغوس وعمله (٢٣: ١٨–٢٤: ٢٠)

حكمته (١٩)تتأمّل ٢٠اللوغوس؛ تعليمه (٢١)يعلنه؛ معرفته (٢٢)كشفته. (٢٣)قيمته (؟) هي (٢٤)مثل (٢٥)إكليل عليه، فرحه متحد (٢٦)به، مجده يعظّمه[٤٦]. (٢٧)صورته (٢٨)أظهرته، (٢٩)راحته (٣٠)قبلها في ذاته، حبّه (٣١)تجسّد فيه، (٣٢)إيمانه أحاط به، (٣٣)بحيث أنّ كلمة (٣٤)الآب خرجت من الكلّ لأنّها ثمرته[٤٧]. (٢١: ١)من قلبه و (٢) شكل إرادته. (٣)في حين أنّه يثبّت الكلّ (٤) بعد أن قام بخيار، أخذ (٥)شكل الكلّ. (٦)بتطهيره إياه، أعاده (٧) إلى الآب، إلى الأم[٤٨] (٨)، (هو) يسوع اللامتناهيّ (٩) عذوبة. اكتشف الآب رحمه (١٠)، رحمه هو (١١)الروح القدس[٤٩]؛ كشف (١٢)ما خُفي فيه، (١٣)والحال أنّ ما خُفي فيه، كان (١٤)ابنه، كيما (١٥)برحمة الآب (١٦)تعرفه الأيونات وتكفّ عن (١٧)الجهد في البحث (١٨)عن الآب، كيما ترتاح (١٩)فيه، عالمة (٢٠)أنّه هو الراحة[٥٠].

XI– بمجيئه، حلّ يسوع العالم (٢٤: ٢٠–٢٥: ١٩)

بعد أن ملأ (٢١)النقص، ألغي (٢٢)الشكل؛ والحال أنّ الشكل هو (٢٣) العالم، والعالم (٢٤)مستعبد له[٥١]. (٢٥)لأنّ المكان حيث يوجد الحسد (٢٦)والخلاف، هو نقص، لكنّ المكان (٢٧)الذي هو الوحدة هو (٢٨)الكمال. ولأنّ النقص (٢٩)وُجد، لأنّ الناس لم تكن تعرف (٣٠)الآب، إذًا إن (٣١) عرف الناس الآب، (٣٢)لا يعد للنقص من وجود، كما (٣٣) جهالة أحدهم، (٣٤)ما إن يعرف، حتّى تختفي، هي (٣٥–٣٦) جهالته (٣٧). كالظلمة (٣٨)تذوب، عندما يظهر (٢٥: ١)النور، هكذا (٢)يتبدّد النقص (٣)بفعل الكمال. بعد ذلك لا يظهر أبدًا (٤)الشكل، بل (٥)يختفي في (٦)ذوبان الوحدة؛ (٧)لأنّ أعمالهم الآن (٨)مساوية بعضها لبعض، في حين أنّ (٩)الوحدة تكمّل (١٠)المساحات. في (١١)الوحدة كلّ أحد (١٢)يعود فيجدّد ذاته؛ بالـ(١٣)معرفة يتطهّر (١٤)من الكثرة بهدف (١٥)وحدة تبتلع (١٦)المادّة بذاتها (١٧)كشعلة، الظلمة (١٨)بالنور، الموت بالـ(١٩)حياة[٥٢].

---

(٤٦) ربّما يعود كلّ هذا المقطع إلى الكتاب أي إلى الإنجيل الذي هو كشف اللوغوس ووحيه، أو إلى اللوغوس بذاته الذي هو صورة الآب، والمحاط بالمجد الذي يعطي المعرفة للإنسان الروحيّ. اكتشاف هذا الكتاب يعطي الروحيّ الفرح لأنّه يعطيه معرفة الأسرار الإلهيّة. الله هو سبب الكتاب، واللوغوس هو علّته، وبالتالي فإنّ الآب هو موضوع الوحي واللوغوس/الكتاب هو صورته.

(٤٧) نزل حبّ الآب وأخذ جسدًا في الكتاب. الابن هو ثمرة الآب أو زرعه، وهو بالتالي ينتمي إلى الجنّة. أتى اللوغوس من قلب الآب، أي أنّه يأتي من أعمق كيان الآب، ممّا يشير إلى حلوليّة الآب والابن (رج ٢٠: ٣٩). أخذ اللوغوس شكل الكلّ ممّا يسمح للكلّ بأن يعود إلى الآب فيكون. إنّ في ذلك تأثيرًا واضحًا بالفلسفة الفيلونيّة التي تقدّم اللوغوس ككائن وسيط مسؤول عن توحيد الإنسان والعالم بإله متعالٍ. هذه القوّة العالميّة–الخالقة هي دليل ومخلّص العالم، تكشف له الأسرار الإلهيّة.

(٤٨) صورة الثالوث الأب–الأم–يسوع هي صورة تتكرّر في النصوص الغنوصيّة. في ذلك الوقت كانت صورة الله تأخذ صورة أب/أم خالق. من هنا يمكن أن نفهم هذه الآية كعودة إلى الآب/الأمّ بواسطة يسوع/الابن.

(٤٩) في ذكر الروح القدس، الذي يفتح رحم الآب، عودة إلى الولادة الجديدة الروحيّة التي يتكلّم عنها القدّيس بولس. لكنّ الآب هنا هو من يكشف ما كان مخفيًّا فيه، وسيتوضّح دور الروح في ٢٦: ٣٦–٢٧، ٤؛ ٣٠: ١٧–١٩.

(٥٠) أبناء الروح يشتركون بالطبيعة الإلهيّة، إن تغذّوا منه، ويحصلون في ذواتهم على جزء من الألوهة.

(٥١) عندما يمتلىء النقص ينتهي العالم المادّيّ، فتذوب الكائنات المجزّأة في الوحدة، وتعود روح العالم، التي كانت مبعثرة في البشر، إلى وحدتها (هذا هو الحلّ الذي وجده الفلاسفة اليونان لفهم العالم ومشكلة الوحدة في الكثرة). أمّا شكل العالم (صورته) فيذكّرنا برأي القدّيس بولس في فل ٢: ٧–٨؛ ١كو ٧: ٣١.

(٥٢) في هذا المقطع وصف للحركة اللّولبيّة الغنوصيّة التي تتمّ في داخل قدرة اللوغوس: سقط الروحيّ في المحسوس، لكنّ المحسوس يتحوّل روحيًّا في النهاية؛ من الروح يأتي الجسد والجسد يعود روحًا؛ من الأزليّ خرج الزمنيّ، لكنّ الزمنيّ يعود إلى الأزليّ. من الله يأتي العالم ومن العالم يأتي الله؛ تحوّل الواحد إلى كثرة، لكنّ الكثرة ستعود واحدًا... يتكلّم الكتاب عن ظهور النور، في إشارة إلى المسيح. لكن، بعيدًا عمّا يقوله القدّيس يوحنّا، فإنّ الكاتب لا يعود بوضوح إلى حدث يسوع التاريخيّ، بل يغوص في صور ميتولوجيّة، ويرتكز على ثنائيّة عاموديّة تقوم على التضادّ ما بين الروح الذي يؤلّف دائرة النور، والمادّة التي تشكّل دائرة الظلمات. أمّا عبارة "المساحات" في الجملة ١٠ فتدلّ على الكائنات الإلهيّة أو المؤلّهة. ولنا في مقطع ١٠–١٥ عرض للفينومينولوجيّا الغنوصيّة المرتكزة على المعرفة التي تطهّر من الكثرة.

XII– وعظ (٢٥: ١٩–٣٥)

إن حدثت هذه الأشياء (٢٠)لكلّ منا، (٢١)علينا أن (٢٢)نسهر قبل كلّ شيء لكي (٢٣)يكون البيت مقدّسًا (٢٤)وصامتًا للوحدة. (٢٥)كما أنّ أشخاصًا (٢٦)تركوا أمكنة (٢٧)حيث كان هناك (٢٨)آنية (٢٩)لم تكن جيدة، (٣٠)حطّموها، وسيّد السبت (٣١)لم يخسر، لكنّه (٣٢)يفرح لأنه (٣٣)بدل هذه الآنية (٣٤)الرديئة، يوجد الكثير منها (٣٥)كاملة[٥٣].

XIII- مجيء يسوع هو دينونة العالم (٢٥: ٣٥–٢٧: ٩)

لأنّه هذه هي (٣٦)الدينونة التي جاءت (٢٦: ١)من عَلُ، دانت كلّ أحد، (٢)كسيف مسلول (٣)ذو حدّين، يقطع (٤)من الجهتين[٥٤]. عندما ظهر (٥)اللوغوس، هو الذي (٦)في قلب من ينطقونه[٥٥]، (ومن) أصبح (٧)ليس مجرّد رنّة، بل (٨)جسد[٥٦]، (٩)بلبلة عظيمة حدثت بين (١٠)الآنية، لأنّ بعضها كان فارغًا (١١)وأخرى ملأى؛ (١٢)أي أنّ بعضها كان زاخرًا، (١٣)وأخرى مقلوبة، (١٤)بعضها مقدّسة، (١٥)وأخرى مجزّأة. (١٦)كلّ المساحات تزعزعت واضطربت (١٧)؛ لأنّه لم يكن فيها رسوخ (١٨)ولا ثبات. إغتّم الخطأ، (١٩)غير عالم (٢٠)ما العمل (٢١)حزن، ناح، (٢٢)ذُهِل (؟) غير عالم بشيء. (٢٣)لأنّها اقتربت (٢٤)المعرفة التي هي (٢٥)دماره مع كلّ منبثقاته، (٢٦)الخطأ فارغ، (٢٧)لم يعد فيه شيء. (٢٨)ظهرت الحقيقة؛ عُرِفت (٢٩)من كلّ منبثقاته، (٣٠)هذه الأخيرة حيَّت الآب بالحقيقة، (٣١)بقوّة كاملة تجمعها (٣٢)بالآب؛ (٣٣)لأنّ كلّ أحد يحبّ الحقيقة، (٣٤)لأنّ الحقيقة هي فم (٣٥)الآب، لسانه (٣٦)الروح القدس؛ هو الموحِّد (٢٧: ١)بالحقيقة هو ملتصق (٢)بفم الآب؛ (٣)بلسانه يأخذ الروح القدس (٥)هذا هو ظهور (٦)الآب وكشفه (٧)للأيونات؛ كشَفَ (٨)ما هو خفيّ فيه، فسّره[٥٧].

XIV– تمجيد الآب، الذي يعطي اسمًا وشكلاً لأيوناته عندما يريد (٢٧: ٩–٢٨: ٢٤)

لأنّه مَن هو الذي هو إلاّ (١٠)الآب وحده؟ كلّ المساحات (١١)هي منبثقاته. (١٢)علمت أنها منه خرجت (١٣)كأبناء (١٤)رجل (١٥)كامل. كانت تعلم (١٦)أنّها لم تأخذ بعد (١٧)شكلاً، ولا تلقّت (١٨)اسمًا، (١٩)يولده الآب لكلّ أحد. (٢٠)عندها تلقّت شكلاً (٢١)من معرفته[٥٨]. (٢٢)لأنّها رغم أنّها فيه (٢٣)لم

(٥٣) في التطرّق إلى صورة البيت عودة إلى ٢ كو ٥: ٢ حيث يشبّه الرسول الجسد بالمسكن. يتكلّم الكاتب هنا عن "الروحيّين"، مؤكّدًا بأنّ عليهم أن يملّكوا عليهم حالة من السلام كيما يتمكّنوا من تأمّل الآب بهدوء وسكينة (رج يو ٧: ٢٣).

(٥٤) هذا النصّ عودة إلى صورة السيف الجليانيّة (عب ٤، ١٢؛ رؤ ٢، ١٢، ١٦)، وخاصّة رؤ ١٩: ١٥ حيث يخرج السيف من فم الكلمة. اللوغوس الذي يخرج من قلب الذين ينطقون به هو المسيح الذي هو "صورة" الملء، الذي وإن صار ثمرة الملء، ولبس الجسد، وظهر للبشر (٢٦: ٨)، فإنّه أيضًا في داخل المختارين الغنوصيّين ليكوّن "إنسانهم الروحيّ". مع تأكيد النصّ بأنّ المسيح ليس مجرّد اسم من أحرف (٢٣: ٣ت)، بل أنّه تجسّد، لكنّه يبتعد عن تجسّد الإنجيل اليوحنويّ، ليعتبر بأنّ المسيح هو مجموع "الروحيّين" وثمرتهم، ممّا يعود بنا إلى العالم النفسيّ اللامنظور.

(٥٥) يكمن معنى المقطع في أنّ مصير العالم يتقرّر أوّلاً في العالم العلويّ المسكون بروؤساء يحاولون منع "الروحيّ" من دخول الملء. لكن أمام المعرفة لا يمكن للعدوّ إلاّ أن يختفي. يشخّص الكاتب الحقيقة، موضوع الكتاب الأساسيّ، ويؤكّد بأنّ في معرفتها دمار الخطأ، وخلاص المنبثقات التي بمعرفتها تتعرّف على ذواتها فيها.

(٥٦) الجميع يحبّ الحقيقة لأنّها تصدر من فم الآب، أو بالأحرى لأنّ فم الآب هو الحقيقة. يبدو أنّ عبارات "الفم" و"الشفاه" و"اللسان" كانت شعبيّة في ذلك الوقت، وقد وردت بكثرة في أناشيد سليمان. في كلّ الأحوال، يبدو أنّ الكاتب يريد أن يربط مواهب التكلّم باللغات، التي كانت تمارسها الجماعات الغنوصيّة، بفيض الروح القدس يوم العنصرة (أع ٢: ٤)؛ فبقوله الحقّ يتّحد "الروحيّ" بفم الآب الذي هو الحقيقة بالذات، وبنطقه باللغات يُظهِر أنّ فيه الروح القدس.

(٥٧) "الروحيّون" هم انعكاس الأيونات، وبممارسة مواهبهم يعلنون الآب ويُظهرونه، تمامًا كما تعلن الأيونات الآب في الملء، كذلك يعلن "الروحيّون" الآب في اجتماعاتهم الليتورجيّة. لكن إن كان الله ينكشف في العهد الجديد للجماعة بأكملها، لا يتعلّق الأمر هنا إلاّ بـ"الروحيّين"، الذين يمكنهم التعرّف إليه بالتعرّف إلى ذواتهم كانبثاقات منه. وكشف الله ليس بالطبع بواسطة يسوع المتجسّد كما في يو ١: ١٨ بل الكلام الآب فقط.

(٥٨) يتكلّم القدّيس بولس عن العالم الروحيّ الذي نرى صورته في العالم المادّيّ (رو ١١: ٣٦)، أمّا هنا فهذا العالم هو مولود، يخرج من الآب كما من الرجل الكامل.

تكن تعرفه. لكنّ الآب [٢٤]كامل، عالم [٢٥]بالمساحات التي فيه. [٢٦]إن أراد [٢٧]يكشف من يريد [٢٨]معطيًا لهم شكلاً و [٢٩]اسمًا ويدعوهم، [٣٠]وهو سبب صيرورتهم. [٣١]الذين لم [٣٢]يصيروا بعد، يجهلون [٣٣]الذي صنعهم [٣٤]لا أقول [٣٥]أنّ الذين لم يصيروا بعد هم عدم، [٣٦]لكنّهم [٢٨: ١]فيه، الذي يريد [٢]أن يكونوا، إن [٣]أراد، كما [٤]في وقت آت. كلّ هذه الأشياء [٥]لم تظهر بعد [٦]لكنّه يعلم ما سيحدثً[٥٩]. [٧]بالمقابل الثمرة [٨]التي لم تظهر بعد [٩]لا تعلم شيئًا، ولا [١٠]تعمل شيئًا. هكذا أيضًا [١١]كلّ مسافة [١٢]في الآب، تصدر [١٣]من الكائن الذي هو [١٤]أنشأها انطلاقًا من [١٥]اللاكائن. [١٦]لأنّه حيث لا يوجد [١٧]جذور، [١٨]لا يوجد ثمار أيضًا، ولكن [١٩]نقول في ذاتنا: [٢٠]"أنا أيضًا أصبحت ناضجًا" [٢١](؟) (و) وندمّر ذواتنا. [٢٢]لذلك من لم يكن مطلقًا [٢٣]لن يكون أبدًا [٦٠].

XV– معرفة الغنوصيّ تشبه الإستفاقة من كوابيس (٢٨: ٢٤– ٣٠: ١٤)

[٢٤] ماذا [٢٥] يريد إذًا أن يفكّر؟ [٢٦] هذا: أنا كما [٢٧] الظلمات وأشباح [٢٨] الليل. عندما [٢٩] يظهر النور، [٣٠] يفهم أنّ الخوف [٣١]الذي اعتراه لا شيء. [٣٢] هكذا كانوا جهّالاً [٣٣] تجاه الآب، هو [٢٩: ١]الذي لم يكونوا يرونه[٦١]. لأنّ ذلك [٢]يوحي بالخوف وبالارتباك، [٣]بعدم الثبات، [٤]بالحيرة و [٥]بالخلاف، كان هناك الكثير [٦]من الأوهام التي تلاحقهم [٧]والعبثيّات الفارغة [٨]كما لو [٩]كانوا غارقين في النوم [١٠]ومجتاحين [١١]بالأحلام المكدّرة؛ [١٢]فإمّا يهربون إلى مكان ما [١٣]، وإمّا يعودون بلا قوّة، بعد أن يكونوا قد لاحقوا [١٤]هذا أو ذاك، أو [١٥]أنّهم يضربون أحدًا، أو يتلقّون ضربات، [١٦–١٧]أو أنّهم يقعون من ارتفاعات [١٨]أو يطيرون [١٩]في الجو، دون أن يكون لهم أجنحة. [٢٠]بكلام آخر، كما لو كان أحد [٢١]يريد قتلهم، مع أنّه لا يوجد أحد [٢٢]يلاحقهم، أو كما لو [٢٣]كانوا يقتلون جيرانهم، [٢٤]لأنّهم ملوّثون [٢٥] بدمهم، إلى أن [٢٦–٢٧]يستيقظ هؤلاء الذين يمرّون بكلّ ذلك [٦٢]. [٢٨]لا يرون شيئًا، [٢٩]الذين [٣٠]في غمرة هذه الحيرة [٣١]لأنّه لم يكن شيئًا [٣٢]كلّ ذلك. هكذا [٣٣]نبذوا [٣٤]الجهل بعيدًا عنهم، [٣٥]كالنوم [٣٦]الذي يعتبرونه كلا شيء [٣٧]كما لا يعتبرون [٣٠: ١]أعماله [٢]صلبة. لكنّهم تركوها [٣]مثل [٤] حلم في الليل ومعرفة [٥]الآب قدّروها [٦]على مقدار النور. هكذا [٧]تصرّف كلّ الذين كانوا كأنّهم نيام [٨]عندما [٩]كانوا جهّالاً، و[١٠]هكذا [١١]انتصبوا، كما لو أنّهم [١٢]يستيقظون. [١٣]هنيئًا لمن انقلب على ذاته [١٤]واستيقظ [٦٣].

XVI– عمل يسوع والروح القدس على الغنوصيّين (٣٠: ١٤– ٣١: ٣٥)

وهنيئًا [١٥]لمن فتح [١٦]عيون العميان [٦٤]. و[١٧]سارع

(٥٩) في هذا المقطع عودة إلى فلسفة الاسم (رج ٢٢: ١٢–١٣؛ ٢٣: ١٥)، وفيها إرادة القول بأنّ "الروحيّين" ليسوا بعد انعكاس الأيونات الكاملة، وبالتالي بأنّ الأيونات ليست كاملة؛ وبما أنّها لا تمتلك اسمها بشكل كامل، فهي لا تعرف ذاتها على حقيقتها. كما الأيون، الاسم مولود من الآب، وهو من طبيعته. لكنّ نسيان هذا الأصل هو سبب السقطة لأنّ الكائن لا يكون حقًّا إلاّ بمقدار ما يُفهم ويعرف أنّه في الآب اللامدرَك واللامفهوم.

(٦٠) المعرفة هي عودة الأجزاء (الزرع) إلى الكلّ الذي هو الآب مصدرها، لكنّه لم يكشف لها بعد اسمه "الابن" (ص ٣٧ت)، وبما أنّها لا تمتلك الاسم لا يمكنها أن تمتلك المعرفة. الجهل المتأتّي من المادّة لا يمكن إلاّ أن يدمّر ذاته لأنّه غير قادر على العودة إلى ذاته.

(٦١) على الإنسان أن يعلم بأنّ كلّ ما ليس روح ليس بشيء، وبمقدار ما يفكّر بمصدره يعي أنّه موجود ويعي أنّ ما يحيط به ليس بشيء لأنّه ليس روحيًّا، وبالتالي يجب أن يعي بأنّ عالم النفس والمادّة ليس سوى ظلال، وأنّ الخوف الذي اعتراه قبل توبته ليس شيئًا هو أيضًا.

(٦٢) لا يُنتج جهل المادّة ووهمها إلاّ الرغبات: الخوف والارتباك وعدم الثبات والحيرة والخلاف. الجهل كالحلم، يغرق فيه "الروحيّون"، وهم يحيون الحزن والتعاسة والخوف، ممّا يؤدّي بهم إلى شعور بالدوار أمام المصير أو إلى شعور بالفراغ أمام عدميّة العالم.

(٦٣) "الروحيّون" صالحون وإلهيّون بطبعهم، لأنّهم يقدرون وحدهم على تقبّل الزرع الروحيّ وتنميته. هذا هو معنى استيقاظهم وتوبتهم.

(٦٤) في هذه الجملة عودة إلى الأعاجيب التي يذكرها العهد الجديد (يو ١١: ٣٧؛ ٩: ٢١؛ مت ٩: ٢٧؛ ١١: ٥). يمكن للقارئ أن يتفاجأ بتطويب الله (١٥)، لكنّ الكتابات الغنوصيّة تعبّر بذلك عن تطويب الجزء الإلهيّ في الإنسان الروحيّ الذي يساعد على التعرّف إلى ذاته ووعي أصله الإلهيّ.

الروح (١٨)لإقامته (١٩)مادًّا اليد (٢٠)لمن كان مرتميًا أرضًا، (٢١)قوّاه (٢٢)على قدميه، لأنه (٢٣)لم يكن قد بُعث بعد (٦٥) (٢٦)سمح لهم بمعرفة (٢٤)الآب و(٢٥)كشف الابن. (٢٧)لأنّهم عندما رأوه و(٢٨)سمعوه، جعلهم (٢٩)يتذوّقون، (٣٠)يشمّون و(٣١)يلمسون الابن، الحبيب (٣٢)ظهر (٣٣)كاشفًا لهم الآب، الـ(٣٤)اللامدرك. نفخ فيهم (٣٥)ما هو في الفكر، متمّمًا (٣٦)إرادته. كثيرون (٣٧)تلقّوا النور، إستداروا (٦٦) (٣١: ١) لكنّ الهيّوليّين (les hyliques) كانوا غرباء عنه (٢)ولم يروا شبهه (٣)ولم يعرفوه (٤)لأنّه أتى (٥)بلحم (٦)المشابهة، غير مواجه أيّ حاجز في (٧)مسيرته لأنّ (٨)عدم الفساد وعدم الانحباسيّة (٩)تعود إليه. مناديًا (١٠)بأشياء جديدة (٦٧) ومعلنًا (١١)ما هو في قلب الآب، (١٢)نطق باللوغوس الكاملة. (١٣)عَرَض (١٤)بفمه النور، (١٥)وصوته (١٦)ولَد الحياة. (١٧)أعطاهم الفكر والمنطق (١٨)والرحمة والخلاص وروح (١٩)القوّة الآتي من لانهاية (٢٠)الآب ومن العذوبة. (٢١)أوقف العقوبات (٢٢)والعذابات، لأنّها هي التي كانت (٢٣)تضلّل العديدين من وجهه، (٢٤)الذين كانوا بحاجة إلى رحمته في (٢٥)الخطأ والقيود، (٢٦)وبقوّة ألغاها (٢٧)وأربكهم بالمعرفة. (٢٨)صار، في الواقع، (٢٩)طريقًا لمن يضلّون (٣٠)ومعرفة للذين (٣١)كانوا يجهلون، اكتشافًا لمن (٣٢)كانوا يفتشون وتثبيتًا (٣٣)لمن كانوا يتزعزعون، (٣٤)بياضًا ناصعًا للذين (٣٥)كانوا ملوّثين (٦٨).

XVII– يسوع، الراعي الصالح (٣١: ٣٥–٣٢: ٣٠)

هو الراعي الصالح (٣٦)الذي ترك التسعة والتسعين (٣٢: ١)نعجة لم تضلّ. (٢)وذهب يبحث عن التي ضلّت (٣)فرِح عندما وجدها(٦٩)، (٤)لأنّ التسعة والتسعين هو (٥)عدد يُعَدّ على اليد اليسرى (٦)التي تحتفظ به، لكن عندما (٧)نجد الواحد، (٨-٩)العدد بأكمله ينتقل إلى اليد اليمنى. وهكذا حال (١٠)من ينقصه الواحد، أي (١١)اليد اليمنى بكاملها التي (١٢)تجذب الناقص و(١٣)تأخذه من (١٤)وسط اليد اليسرى وتنقله إلى اليمنى، (١٥)وهكذا العدد (١٦)مئة. إنّه علامة ما (١٧)في صوتهم، أي الآب(٧٠). (١٨)حتّى السبت عمل من أجل النعجة (١٩)التي وجدها واقعة (٢٠)في بئر، التي أَحياها، (٢١)هذه النعجة، بعد أن (٢٢)انتشلها من البئر، كي تعلموا (٢٣)في قلوبكم ما هو (٢٤)السبت، الذي لا يجوز فيه أن يبقى (٢٥)الخلاص غير عامل، (٢٦)كي تقولوا (٢٧)في هذا اليوم الآتي من علُ (٢٨)الذي لا ليل له، (٢٩)وفي النور (٣٠)الذي لا يغيب.

XVIII– تشجيع ووعظ (٣٢: ٣٠–٣٣: ٣٢)

لأنّه كامل، (٣١)كي تقولوا في قلوبكم (٣٢)إنّكم أنتم هذا اليوم الكامل (٣٣)وإنّه فيكم يقيم (٣٤)النور الذي، الذي لا يكفّ، (٣٥)لكي تعلنوا الحقيقة للذين (٣٦)يفتّشون، والمعرفة

---

(٦٥) لنا هنا إشارة إلى صلب المسيح، لكنّها تبقى مجرّد إشارة ثانوية؛ فالمخلّص الغنوصيّ ليس سوى الإنسان الروحيّ نفسه.

(٦٦) يبدو أنّ المسيح يتلقّى أوّلاً الروح القدس، ثمّ يعطي "الروحيّين" أن يعوا زرعهم الإلهيّ. في كلّ الأحوال تبقى صورة المسيح والروح غير واضحة المعالم تمامًا، ويبقى المسيح صورة ميتولوجيّة أكثر منها صورة لشخص تاريخيّ. في ٢٨–٣١ تفسير غنوصيّ لعدد من آيات من العهد الجديد (لو ٢٤: ٣٦؛ يو ٦: ٥٣–٥٨؛ ١ بط ٢: ٣؛ ١ يو ١: ١) تخبر ظهور يسوع لتلاميذه. وفي حين أنّ الروح هو من يعلّم في ٣٠:٣٣، فإنّ القدّيس يوحنّا يجعل من المسيح المعلّم (يو ٤: ٢٥).

(٦٧) في هذه الآية عودة إلى موضوع الأشياء الجديدة الذي يتردّد في الرؤيا اليوحنويّة (رؤ ٢١: ١؛ ٣: ١٢؛ ٢١: ٢) للكلام عن وحي الخلاص.

(٦٨) اللوغوس يكشف جوهر حياة الله الداخليّة، لكنّ "الروحيّين" هم الوحيدون القادرون على الخلاص وقبول اللوغوس. الخلاص يأتي من روح القوّة (٣١: ١٨–١٩ رج أش ١١: ٢)، في حين تمنع الرغبات والعذابات التي يتسبّب بها الخطأ، "الروحيّين" من الوعي والتقرّب من الله لأنّها تقيدهم.

(٦٩) وصف للخلاص بواسطة مَثَل الخروف الضالّ حيث يترك الراعي الـ٩٩ لينطلق باحثًا عن النعجة الضالّة (مت ١٨: ١٢–١٤؛ لو ١٥: ٤–٧). ترمز النعجة الضالّة في الفالنتينيّة إلى الحكمة الساقطة. ضلّت الروح في مادّة الخطأ، فقام الآب بالبحث عن "الجزء" الذي ضلّ.

(٧٠) كان الأقدمون يظنّون بأنّ اليد اليسرى هي العضو غير الشريف، في حين أنّ اليد اليمنى هي رمز الكمال. لكن ما يهمّ الكاتب هو العدد الذي يرمز إلى العودة من النقص إلى الكمال لأنّ الوحدة علامة الكمال (٢٣: ١١–١٥). ترمز الوحدة إلى معرفة الزرع الإلهيّ الذي، إن أضيف إلى العدد ٩٩، ملأه وجعله يصل إلى العدد ١٠٠. تفسّر رسالة برنابا الأرقام ٦ و ٧ و ٨، فتجعل من الرقم الأخير رمزًا للسبت الجديد؛ أي العالم الجديد. فالرقم ٧ يمرّ إلى الرقم ٨، والرقم ٨ يعود إلى الرقم واحد.

[٣٧]للذين أخطأوا في خطئهم، [٣٨]أنتم أبناء علم[٧١] [٣٩]القلب [٣٣: ١]شدّدوا قدم الذين [٢]يتهاوون ومدّوا [٣]اليد للمرضى، أطعموا [٤]الجياع و [٥]قدّموا العزاء للذين يتألّمون، و[٦] أنهِضوا الذين يريدون [٧]أن ينهضوا، أيقظوا الذين [٨]ينامون؛ أنتم [٩]الضمير الذي يجذب[٧٢]. إن كانت [١٠]القوّة مساويّة لذاتها، [١١]فهي تنموا أيضًا بالقدرة. اهتموا [١٢]بذواتكم، ولا تهتمّوا [١٣]بالأشياء الأخرى، التي [١٤]رميتموها عنكم، التي [١٥]تركتموها. لا تعودوا [١٦]نحوها، لتغتذوا منها؛ لا تصبحوا عثًّا [١٧]ولا دودًا، لأنّكم انتهيتم [١٨]من رميها. [١٩]لا تصبحوا مكان الـ[٢٠]الشيطان، لأنّكم [٢١]انتهيتم من تدميره. [٢٢]لا تدعِّموا حواجزكم [٢٣]التي تزعزع كما لو كانت توبيخًا[٧٣]. [٢٤]من كان ضدّ الشريعة لا شيء، [٢٥]لأنّه لا يجب مصارعته أكثر من البارّ. [٢٦–٢٧]هذا يتمّم أعماله، مثل [٢٨]الذي لا شريعة له، هو مثل [٢٩]البارّ يتمّم [٣٠]أعماله للآخرين[٧٤]. إعملوا [٣١]الآن أنتم إرادة الآب [٣٢]لأنّكم منه؛ لأنّ [٣٣]الآب...

XIX– رائحة الآب (٣٣: ٣٣–٣٥: ٢٢)

عذب وما في [٣٤]إرادته صالح. [٣٥]أخذ علمًا بما هو خاصّتكم [٣٦]لكي ترتاحوا [٣٧]بذلك. لأنّه من [٣٨]الثمار يُعرف [٣٩]ما هو خاصّتكم، لأنّ أبناء الآب [٣٤: ١]هم رائحته، [٢]لأنّهم من نعمة [٣]وجهه. لذلك الآب يحبّ [٤]رائحته ويكشفها [٥]في كلّ المساحات . وإن امتزجت [٦]بالمادّة، فإنّه يعطي رائحته إلى [٧]النور وفي صمته [٨]يتركها تحمل كلّ شكل [٩]وكلّ رنّة. لأنّ الآذان ليست [١٠]من يتنفّس الرائحة، بل الرائحة، [١١]يعود للروح [١٢]أن يشمّها، ويجذبها (الرائحة) [١٣]إليه ويغمرها [١٤]في رائحة الآب. يعيدها [١٥]ويقودها من جديد إلى المكان [١٦]الذي أتت منه[٧٥]، [١٧]في الرائحة الأولى التي صارت باردة [١٨]في عمل [١٩]نفسيّ، [٢٠]كما في ماء باردة، التي [...] [٢١]أرض ليست [٢٢]صلبة وفيها يفكر [٢٣] من يراها: [٢٤]"هذه أرض، سريعًا ما ستذوب". [٢٥]إنّ روحٌ [٢٦] اجتذبها ستدفأ. الروائح [٢٧]التي بردت تنبثق إذًا من الانفصال. [٢٨]لذلك أتى الإيمان، [٢٩]دمّر الانفصال [٣٠]وأتى بالملء [٣١] حار من الحبّ، لكي [٣٢]لا يعود البرد إلى الوجود أبدًا، [٣٣]بل إنّ وحدة [٣٤]الفكر الكامل تملك. [٣٥]هكذا كلمة الإنجيل [٣٦] اكتشاف الملء [٣٧]لمن ينتظرون[٧٦] [٣٥: ١]الخلاص الآتي من علُ [٢]أملهم منبسط [٣]نحو ما ينتظرون، [٤]هم الذين شكلهم [٥]

(٧١) في المقطع ١٨–٣٩ جمع لعدد من نصوص العهد الجديد بحسب طريقة الكاتب التفسيريّة : خطاب يسوع يوم سبت (مت ١٢: ١١ت)، مع شفاء المخلّع عند بركة الغنم في سبت آخر (يو ٥: ١ت)، مع إشارة إلى يو ١٠: ٢٨، ١٠، وكأنّ في الإشارة إلى السبت حكم على التقيّد بيوم الأحد الذي كان يشكّل معضلة للكنيسة الأولى.

(٧٢) في هذا المقطع أسلوب وعظيّ واضح، يشدّد على دور "الروحيّين" في ولادة حياة روحيّة في ما حولهم؛ فمن عاد إلى ذاته الإلهيّة لا يجب أن يتراجع، فيعود إلى ما ترك لئلاّ يفسد مثلها هو أيضًا كالعثّ (مت ٦: ١٩، ٢٠؛ لو ١٢: ٣٣)، والدود (مر ٩: ٤٨).

(٧٣) يواجه "الروحيّون" مصاعب، ربّما كانت تجارب تجذبهم إلى المادّة، لكن لا يجب أن يخيف ذلك "الروحيّين".

(٧٤) كان الغنوصيّون يهزأون من خوف المسيحيّين من الخطيئة؛ فالبرّ الغنوصيّ لا يقوم على تحاشي الخطيئة، بل على المعرفة بأنّ لا شيء كائن سوى الروح الموجود في داخل الإنسان.

(٧٥) ثمار "الروحيّين" تكشف أنّهم أبناء الله (مت ١٢: ٣٣؛ لو ٦: ٤٤)، وتتسبّب لهم بالراحة والسكينة. وبمّا أنّهم أجزاء من الله فهم رائحته، والنور يجعل الرائحة تحتوي الصورة والصوت. عندما تحدث الاستنارة لأنّ النور يحمل الرائحة الإلهيّة دومًا. وهكذا يعيد الروح الرائحة إلى المكان الإلهيّ في المساحة السماويّة من حيث نزلت.

(٧٦) بعد أن بردت الرائحة من الانفصال، ستعود إليها الحرارة بالوحدة. في ٣٣: ٣٥ يؤكّد الكاتب أنّ البشرى السارّة "الإنجيل" هي اكتشاف الطبيعة الروحيّة التي يحملها كلّ غنوصيّ، والتي فيها يعود الزرع إلى الآب. إنّ في ذلك إشارة إلى مت ٧: ٣٣؛ لو ٦: ٤٤. أمّا مقطع ٣٤: ١–١٣ فيؤكّد بأنّ "الروحيّين"، وهم شرارات من الآب، هم بالتالي رائحته. والمعنى هو أنّ النور يجعل الرائحة تجمع كلّ صورة وكلّ صوت. تجمّدت الروائح بسبب الانفصال. وتأتي جملة ٣٤: ٣٥ لتوضح أنّ كلمة الإنجيل هي اكتشاف الطبيعة الروحيّة التي يحملها كلّ غنوصيّ، بمعنى أنّه الوعي الذي بفضله يعود الزرع إلى الآب.

هو النور الذي ليس فيه ظلّ(٧٧). (٦)إن وصل (٧)الملء إلى هذا الوقت (٨-٩)لا ينشأ نقص المادّة من (١٠)لاتناهي (١١)الآب الذي أتى زمن (١٢)النقص، مع أنّ أحدًا (١٣)لا يمكنه أن يقول أنّ (١٤)اللافاسد أتى بهذه الطريقة(٧٨). (١٥)لكنّ عمق الآب تكاثر(٧٩) (١٦)لم يكن (١٧)فيه فكر (١٨)الخطأ. سرّ السقوط، (١٩)سرّ يكفّ (٢٠)عن الانتصاب، عندما نكتشف الذي (٢١)يأتي إلى من يريد (٢٢)الارتداد.

XX– الإتقان هو الغفران (٣٥: ٢٢–٣٦: ٩)

هذه العودة بالفعل، (٢٣)تسمّى توبة(٨٠). (٢٤)لذلك فعدم الفساد (٢٥)هبّ، تعقّب الـ(٢٦)خاطئ لكي يرتاح(٨١). (٢٧)الغفران هو (٢٨)ما يبقى للنور في النقص (٢٩)إنّه كلمة الملء. (٣٠)لأنّ الطبيب يسارع إلى المكان (٣١)حيث يوجد مريض، لأنّ هذه هي (٣٢)إرادته. (٣٣)من هو ناقص لا يختبئ بالتأكيد، (٣٤)لأنّ ذاك يملك (٣٥)ما ينقص هذا. هكذا (٣٧) امتلأ النقص بالـ٣٦ملء الذي لا نقص فيه(٨٢). (٣٦: ١)الذي أعطاه ليملأ (٢)من هو ناقص، لكي (٣)يتقبّل الآب النعمة؛ عندما كان (٤)ناقصًا، (٥)لم يكن له النعمة. لذلك (٦)كان هناك نقص في (٧)المكان، حيث لم يكن هناك نعمة. (٨) عندما (٩)قُبِل الناقص الذي كان ينقصها(١٠)ظهرت مثل ملء (١١)أي اكتشاف نور (١٢) اكتشاف الحقيقة التي أنارته لأنّها (١٣)لا تتغيّر(٨٣).

XXI– مسحة المسيح (٣٦: ١٣–٣٥)

لذلك (١٤)تكلّم الناس عن المسيح(٨٤) في (١٥)محيطهم لكي يتوب (١٦)الذين كانوا مغمومين ويتقبّلوا (١٧)منه المسحة. المسحة (١٨)هي رحمة الآب، هو الذي أشفق (١٩)عليهم. الذين مُسِحوا (٢٠)هم الكاملون(٨٥). (٢١)لأنّ الآنية الملأى (٢٢)هي التي نسعى عامّة أن نختمها. لكن

(٧٧) المعرفة تبقى قبل كلّ شيء عقيدة خلاص، وهذا ما يقرّبها من المسيحيّة. لا علاقة للانتظار بأيّ حدث إسكاتولوجيّ، إنّما هو خبرة أو تنوير غنوصيّ. أمّا ما يتوق إليه "الروحيون"، شكلهم الأوّل، فهو النور، لأنّ "الروحيّين" هم انعكاس الأشياء العلويّة.

(٧٨) يحاول الكاتب لفت النظر إلى فهم مغلوط للأمور من جرّاء مصالحة مفهومين متناقضين لله والمتمثّل بإله متعالٍ يخلّص بالمحبّة؛ فإن كان سبب النقص هو البعد، أي تعالي الله، فمن الممكن عندها الكلام عن أنّ الله هو سبب الخطأ. ولكن إن كان يخلّص فيجب أن نتخطّى تعلّيه أو أن نتكلّم عن وسطاء سرّيّين، أجزاء من الألوهة، قادرون أن يخلّصوا إن تعرّف الناس فيهم على ذواتهم. لكن في ذلك خطأ الغنوصيّة التي تجعل من البشر مخلّصين بذواتهم، وكأنّ الناس متروكون لمصيرهم.

(٧٩) لا يمكن فهم هذا الخلاص إلاّ بتجزئة الألوهة. كلّ "روحيّ" يتعرّف بذاته على جزء من الألوهة. وما أن يتكاثر الله، ينتفي الخطأ ويُدمَّر، لأنّه لا وجود للخطأ في الله. هكذا وجد الغنوصيّون حلاًّ لمشكلة تعالي الآب الذي بسببها ظهر الخطأ. دُمِّر الخطأ بسبب الانبثاقات الإلهيّة وليس بسبب تدخّل الهي مباشر.

(٨٠) العودة، أو التوبة، هي عند الغنوصيّين عودة إلى الدوائر العليا، عودة إلى الذات. حصل "الروحيّ" على عدم الفساد لأنّه عرف ذاته، أي أنّه عرف النفحة الإلهيّة بالروح الساكن فيه.

(٨١) هذا الروح يرافق الخاطئ الهائم. هذه الإشارة إلى الخطيئة نادرة في هذا الكتاب، وتأتي بعيدة عن المعنى الأخلاقيّ، لأنّ كلّ المقصود هو الحديث عن القوّتين المتناقضتين: المعرفة والجهل. تأتي نفحة الروح لتقود الروح الهائم إلى الملء مكان الراحة الحقّ لكلّ أيون، ممّا يعني بأنّ "الروحيّين" الذي أعادوا اكتشاف ذاتهم يتألّفون معًا في لوغوس الملء، اللوغوس الأكبر.

(٨٢) في ٣٥: ٣٠–٣٦ نجد صورة المرض التي كثيرًا ما يستعملها الفالنتينيّون، أمّا الطبيب فهو الروح الذي يسرع نحو المسيح (رج ٣٠: ١٦–١٩) والإرادة هي مصدر الغذاء والراحة والقوّة، فلا يختبئ المريض لأنّ الطبيب يملك كلّ شيء.

(٨٣) هنا تأكيد أنّ الآب ترك الملء ليملأ من كان ناقصًا ويسمح له بتقبّل النعمة. ويكمل الكاتب وصفه للخاطئ بقوله أنّه عندما لم يكن له النعمة كان ناقصًا. وظهرت النعمة كملء وكاكتشافٍ للنور والحقيقة. والنور هو مادّة من العالم الآخر، يملأ الغنوصيّ المنشأ، ويعطيه القوّة الإلهيّة.

(٨٤) إنّها المرّة الوحيدة، إضافة إلى ١٨: ١٦ التي يظهر فيها اسم المسيح، لأنّ الكتاب عادة يتكلّم عن اللوغوس. المسيح هنا ليس سوى رمز لحياة الملء لا أكثر.

(٨٥) في الكلام عن المسحة إشارة إلى الاحتفالات الطقسيّة الغنوصيّة، التي كان الغنوصيّون يظهرون من خلالها مواهبهم في "اللغات" (١ كو ١٤)،

عندما [٢٣]ينسكب مرهم إحداها [٢٤]تفرغ، والسبب [٢٥]بأنّها ناقصة هو الدمغة (؟) [٢٦]التي من خلالها يسيل المرهم، [٢٧]لأنّه في هذا الوقت [٢٨]نَفَس يجذبه [٢٩]بقوّة الذي هو معه. لكن [٣٠]عند الكامل [٣١]لا شيء مفضوض [٣٢]ولا مفرَغ، [٣٣]لكن من هو ناقص، الآب [٣٤] الكامل [٣٥]يملأه من جديد[٨٦].

XXII – أصل اللوغوس والأيونات (٣٦: ٣٥-٣٧: ١٨)[٨٧]

إنّه صالح، يعرف [٣٦]زرعه، لأنّه هو [٣٧]الذي زرعهم في جنّته. [٣٨] جنّته، [٣٩] هي مكان راحته. هذا [٣٧: ١] هو الكمال بفضل فكر [٢]الآب. وهذه هي [٣]كلمات تفكيره. [٤]كلّ من كلماته [٥]هي عمل إرادته، متّحدة بها [٦]بكشف [٧]كلمته. في حين كانت في عمق [٨]فكره، اللوغوس [٩]الذي انبثق أوّلاً أظهرها، [١٠]واحد بالفهم الذي [١١]يُصدر اللوغوس، واحد في [١٢]النعمة الصامتة، سُمّي [١٣]فكرًا لأنّها كانت فيه [١٤]قبل أن تُظهَر. [١٥]حصل له إذًا [١٦]أنّه صدر أوّلاً بحسب [١٧]إرادة [١٨]الذي أراد.

XXIII– إرادة الآب (٣٧: ١٩-٣٨: ٦)[٨٨]

[١٩]وفي الإرادة [٢٠]يرتاح الآب، و[٢١]هذا يروق له. لا شيء [٢٢]يحدث من دونه، [٢٣]ولا شيء دون إرادة [٢٤]الآب، لكنّ إرادته لامفهومة[٢٥]. أثره [٢٦]هو الإرادة، وأحدًا لا يقدر [٢٧]أن يعرفها، وليس باستطاعتهم [٢٨]أن يراقبوها لكي [٢٩]يفهموها. ولكن، [٣٠]عندما يريد ما يريد [٣١]يحدث، حتّى لو [٣٢]لم يرق لهم المشهد. [٣٣]هذا لا شيء أمام الله، أمام الإرادة [٣٤] أمام الآب. لأنّه يعرف [٣٥]أصل ونهاية كلّ شيء. [٣٦]في الواقع، في النهاية سيسألهم [٣٧]ما قد يكونون قد فعلوا. والحال، إنّ النهاية تقوم على معرفة [٣٨]الذي هو خفيّ. وهذا هو أب [٣٨: ١]الذي خرج من المصدر، [٢]والذي نحوه يعود [٣]كلّ الذين خرجوا [٤]منه. أُظهِروا [٥]من ناحية أخرى لمجد و[٦]فرح اسمه.

XXIV– اللوغوس، اسم الآب (٣٨: ٦-٤٠: ٢٩)

والحال، [٧]إنّ اسم الآب هو الابن، هو الذي [٨]في المصدر أُعطي الاسم لمن خرج [٩]منه، الذي كان هو بذاته[٨٩] [١٠]وولده كابن. [١١]أعطاه اسمه [٩٠] الذي [١٢]هو

وحيث كان "الكاملون" الجدد يُمسحون بالدهون. ربّما كنّا هنا أمام تقليد لأسرار الكنيسة، مفهومة بطريقة وثنيّة. في الكتب القانونيّة (أع ١٠: ٣٨؛ ٢ كو ١: ٢١؛ ١ يو ٢: ٢٠، ٢٧) يتعلّق الأمر باتحاد كامل بالمسيح التاريخيّ، وليس بحقيقة غامضة مرادفة لاسم إله لاملموس ولامعروف ولامفهوم...، على ما يبشّر الغنوصيّون.

(٨٦) الحياة الجديدة بالمسحة هي الرحمة الإلهيّة، ولتصوير الانفصال العميق بين "الروحيّين" و"اللاروحيّين"، يستعمل الكاتب صورة الآنية (رج ٢٥: ٢٨-٢٦). الآنية الملأى هم الممسوحون، ولكن عندما ينسكب الزيت خارج الإناء يفرغ. والزيت الذي ينقص، الإناء ليس سوى الروح. عندما يعي الروح الموجود في "الروحيّ" ذاته، يجذب إليه الروح بقوّة من هو معه، أي بالقوّة الإلهيّة. وعلى العكس من ذلك، ليس في الإناء الكامل أيّ كسر يمكن أن ينزف منه المرهم، وبالتالي لا يمكنه أن يفرغ. لكن عندما يصبح الروح الساقط ناقصًا، يملأه الله الكامل.

(٨٧) هنا محاولة لشرح أصل الأيونات. الآب العادل والصالح يعرف زرعه، أي الأيونات التي ليست سوى أجزاء منه زرعها في ملئه. هذه الأيونات أو "الروحيّين" الذين هم انعكاس له كائنون بمجرّد أنّ الآب يعرفهم وبمجرّد أنّهم يعرفوه. هكذا لن تتحقّق التتمّة النهائيّة إلاّ عندما يصبح الزرع كاملاً، أي عندما تكتمل كلّ الأيونات. الأيونات هي الكلمات التي تؤلّف معًا الأيون الأعظم، أي الآب اللامتناهيّ. كانت في عمق الله، لكنّ اللوغوس أنارها وجعلها تعي ذاتها وأصلها الإلهيّ، بحسب إرادة الآب.

(٨٨) في تركيز كامل على إرادة الآب، يؤكّد الكاتب أنّ إرادته هي راحته، وأن لا شيء يحدث دونها (مت ١٠: ٢٩؛ يو ١: ٣)؛ فلا أحد بإمكانه أن يسبر الله، ولا حتّى زرعه، إلاّ إذا أعطت الإرادة اللوغوس أن يكشفه. ٣٧: ٣٣ هي الذكر الوحيد لعبارة "الله" في كلّ الكتاب في إشارة إلى آب الكلّ.

(٨٩) كلام عن المصدر الذي ولده الآب أوّلاً والذي منه تنبثق الكلمة.

(٩٠) هذا ما يذكرنا بـ لو ٣: ٢٢؛ مز ٢: ٧؛ عب ١: ٥؛ ٥: ٥؛ أع ١٣: ٣٣؛ يو ١٧: ١٢.

ملكه الخاصّ، هو الذي له (١٣)كلّ الأشياء القريبة منه (١٤)الآب. له الاسم، (١٥)له الابن. يقدرون (١٦)أن يروه، لكنّ الاسم (١٧)هو لامنظور، لأنّه (١٨)وحده السرّ (١٩)اللامنظور (٢٠)والمعدّ للوصول إلى الآذان التي كلّها ملأى (٢١)منه. وبالفعل، (٢٢)اسم الآب غير مُعلَن، (٢٣)أُظهِر بواسطة (٢٤)الابن(٩١). هكذا يكون الاسم أكبر. (٢٥)من يستطيع إذًا أن يلفظ اسمًا له، (٢٦)هذا الاسم الكبير، إن لم يكن هو (٢٧)وحده الذي له (٢٨)هذا الاسم وأبناء الاسم، (٢٩)الذي يرتكز عليهم (٣٠)اسم الآب، (٣١)والذين يرتكزون بدورهم (٣٢)في اسمه؟ بما أنّ (٣٣)الآب لامولود، فهو وحده الذي (٣٤)ولده لذاته كاسم (٣٥)قبل أن يصنع الأيونات، (٣٦)على رأسهم (٣٧)اسم الآب (٣٨)السيّد، الذي هو الاسم(٣٩: ١)الصادق، الحازم في (٢)سلطته وقدرته الكاملة، (٣)لأنّ هذا الاسم ليس على عدد (٤)الكلمات، و(٥)ليست التسميات اسمه، (٦)لكنّه غير منظور (٧)أعطى الاسم له وحده، (٨)كونه الوحيد الذي يراه، (٩)كونه الوحيد القادر (١٠)أن يعطيه اسمًا، (١١)لأنّ من ليس موجودًا (١٢)لا اسم له(٩٢). (١٣)لأنّه أيّ اسم يُعطى (١٤)لمن ليس موجودًا؟ (١٥)وعلى العكس، فمن يوجد (١٦)يوجد باسمه، و(١٧)هو وحده من يعرفه، (١٨)وله وحده (١٩)يعود للآب أن يدعوه. الابن (٢٠)هو اسمه. (٢١)لم يُخفِه إذًا في عمله (في السرّ)، (٢٢)لكنّ الابن كان، (٢٣)له وحده أعطى الاسم. (٢٤)وهكذا، فالاسم هو اسم الآب، (٢٥)كما أنّ اسم (٢٦)الآب هو الابن؛ فالرحمة، في الواقع، (٢٧)أين نجد اسمًا (٢٨)إلا قرب الآب؛ (٢٩)لكن سيقول بالتأكيد أحد (٣٠)لجاره: من (٣١)سيعطي اسمًا لمن (٣٢)هو كائن قبله، (٣٣)وكأنّ الأبناء بالتأكيد لا يقبلون اسمًا (٤٠: ١)من قِبَل الذين (٢)ولدوهم؟ (٣)يجدر بنا إذًا أن (٤)نفكّر قبل كلّ شيء بهذا: (٥)ما هو الاسم؟ هذا هو الاسم (٦)الصادق، هو بالفعل (٧)الاسم الذي يأتي من الآب لأنّه (٨)اسمه الخاصّ. (٩)لم يحصل إذًا أبدًا على الاسم (١٠)كالآخرين على سبيل الاستعارة، (١١)بحسب الطريقة الخاصّة التي بموجبها (١٢) كلٌّ (١٣)هو ثمرة. على العكس، هذا (١٤)هو الاسم الخاصّ؛ (١٥)لا يوجد أحد غيره له قد أُعطي. (١٦)لكنّه لامسمّى، (١٧)لاموصوف، (١٨)إلى الوقت الذي فيه هذا (١٩)الكامل شرحه (٢٠)وحده، وهو (٢١)الذي كان له القدرة على إعلان (٢٢)اسمه ورؤيته. (٢٣)عندما حسن له إذًا (٢٤)أن يصير اسمه (٢٥)ابنه الحبيب، (٢٦)أعطاه إيّاه الذي (٢٧)خرج من العمق أعلن (٢٨)ما كان مخفيًّا، عالمًا (٢٩)أنّ الآب أرفع من الصلاح.

XXV– هدف رسالة يسوع في العالم (٤٠: ٣٠–٤١: ٣٥)(٩٣)

(٣٠)لذلك أيضًا أرسله (٣١)لكي يتكلّم (٣٢)عن المكان وعن ذاته (٣٣)من حيث خرج (٤١: ١)ولكي يُمجِّد الملء (٢)عظمة اسمه و(٣)عذوبة الآب. كلٌّ (٤)سيتكلّم عن المكان من حيث أتى، (٥)و (٧)سيعود على عجل إلى المنطقة (٦)حيث تلقّى كيانه الجوهريّ، (٨)وسيترك (٩)هذا المكان حيث (١٠)يمكث، مائلاً (١١)إلى هذا المكان، (١٢)مغتذيًا منه وناميًا فيه. و(١٣)مكان راحته (١٤)هو الملء. (١٥)وهكذا، فكلّ منبثقات الآب (١٦)هي ملء، (١٧)كلّ المنبثقات، جذورها في الذي (١٨)جعلها تنمو فيه. (١٩)أعطاها (٢٠)مصيرها؛ فكلّها إذًا أُظهِرت (٢١)فرديًّا (٢٢)لكي [... في] (٢٣)فكرها. لأنّ المكان (٢٤-٢٥)

(٩١) الاسم الذي يعود للآب هو إشارة إلى الاسم الإلهيّ الخاصّ، وبالتالي يمكن "للروحيّ" أن يرى اللوغوس (يسوع)، لكن لا يمكنه أن يرى الاسم لأنّه كالآب لامنظور ولامفهوم.

(٩٢) الآب اللامولود هو من ولد الاسم، والاسم هو الملء، وهو يخصّ الآب، وفيه ترتاح الأيونات. لاهوت الاسم هذا هو من أقدم المسيحانيّات التي سريعًا ما تُركت جانبًا لصعوبة فهمها. لكنّ المقصود يظهر في ٣٩: ٢٣–٢٦، فيوضح أنّ الآب أعطى اسمه إلى الابن، وأنّ اسم الآب هو في الابن، وأنّ الاسم هو الابن. وتشكّل ٣٥: ٢٨–٣٣ فاصلاً يشرح أنّه لا يمكننا تسمية الآب، ولا معرفته إلا بالابن، كما أنّ الأبناء يعرّفون عن آبائهم لأنّهم أخذوا أسماءهم ممّن ولدوهم.

(٩٣) في الصفحتين ٤٠–٤١ حديث عن رسالة يسوع، المخلّص الذي يحمل فيه الاسم. أرسله الآب ليتكلّم. سيعلّم الابن البشر كيف يفهمون أنّهم من ملكوت النور. بعد هذا التعليم، سيبحث كلّ شخص كيف يهرب من هذا العالم المادّيّ، ليعود إلى مكانه الإلهيّ الأصليّ.

الذي إليه تبسط فكرها (٢٦)هو جذرها، الذي يرفعها (٢٧)إلى السماء في كلّ الأعالي (٢٨)نحو الآب، حتّى (٢٩)رأسه الذي هو الراحة لها[٩٤]. (٣٠)وتثبّت فيه (٣١)مقرَّبة منه، (٣٢)بحيث تقول إنّها (٣٣)شاركت في وجهه (٣٤)بتوهّجات.

XXVI– المشترون استحقّوا افتداءهم (٤١: ٣٥–٤٢: ١١)

[٣٥]من جهة أخرى، لم تُظهَر ٤٢: ١ وكأنّها [٢]ارتفعت من ذاتها. [٣]ولم تُحرم من مجد [٤]الآب[٩٥]، ولم تفهمه [٥]كصغير أو قاسٍ [٦]أو سريع الغضب، لكن مطلق الصلاح، لامتزعزع، [٨]عذبٌ عارف [٩]كلّ الأمكنة قبل أن تكون [١٠]ليس له حاجة ليتعلّم[٩٦].

XXVII- كيان الغنوصيّ في العالم السفليّ والعلويّ (٤٢: ١١–٤٣: ٢٤)

(١١)هكذا (١٢)هم الذين عندهم شيئ (١٣)من علُ قرب (١٤)العظمة غير القابلة للقياس طالما أنّهم (١٥)يتوقون إلى هذا الواحد (١٦)الكامل الذي هو هنا (١٧)لهم، ولا ينزلون (١٨)إلى مثوى الأموات، ليس لهم (١٩)رغبة ولا (٢٠)تأوّهات ولا موت، (٢١)بل يرتاحون (٢٢)في ذاك الذي يرتاح، (٢٣)دون تعب ولا (٢٤)دوران، متوهّمين، (٢٥)حول الحقيقة[٩٧]. لكنّهم هم أنفسهم (٢٦)الحقيقة، والآب هو (٢٧)فيهم و(٢٨)هم في الآب، كونهم كاملين، (٢٩)غير منقسمين في ذاك (٣٠)الكائن الصالح حقًّا. (٣١)لا ينقصهم شيء من شيء، (٣٢)لكنهم يرتاحون منتعشين (٣٣)بالروح. وسيدركون (٣٤)جذرهم، سيتمتّعون على مهل بذواتهم، (٣٥)فيهم سيجد جذره، (٣٦)ولن يكون هناك خسارة (٣٧)لنفسه. هذا هو مكان (٣٨)الطوباويّين، هذا هو مكانهم. (٣٩)أمّا الباقون فليعرفوا (٤٠)في مكانهم (٤١)أنّه لا يحسن، (٤٣: ١)بعد أن كانوا في مكان الراحة، (٢)أن يُقال شيء آخر، ولكن (٣)به سأكون، و(٤)لكي أقف ذاتي في كلّ وقت لأب (٥)كلّ شيء وللإخوة الحقيقيّين (٦)الذين عليهم محبّة (٧)الآب تنسكب[٩٨]، (٨)وفي وسط هؤلاء لا يوجد أيّ نقص (٩)أنّهم هؤلاء الذين يظهرون (١٠)بالحقيقة في هذه الحياة (١١)الحقّة والأبدية (١٢)ويشرحون النور، (١٣)هذا الذي هو كامل ومليء (١٤)من زرع الآب، (١٥)والذي هو في قلبه وفي (١٦)الملء، في حين يغتبط (١٧)روحه ويتمجّد (١٨)الذي به يوجد، لأنّه صالح، (١٩)وكاملون هم، (٢٠)أبناؤه، و(٢١)مستحقّون اسمه، (٢٢)لأنّهم أبناء (٢٣)كما يُحبّ، هو، الآب[٩٩].

خــاتمة

أوّل ما يتبادر إلى ذهن قارئ "إنجيل الحقيقة" إنّه يعرض عقيدة غنوصيّة، وأنّ هذه الغنوصيّة هي عقيدة عن الخلاص ليست في الحقيقة إلاّ مجموعة من عناصر أُخذت من أفكار وفلسفات مختلفة.

يبدو أنّ هذا "الإنجيل" ليس سوى "إنجيل" الفالنتينيّين،

(٩٤) بعد أن أعطى الآب اسمه للابن، خرج هذا الأخير من العمق. أصبح الملء الملتحف بالمخلّص، والاسم الذي يعبّر عن ذاته بالابن، وسيطَ الوحي. والعلم الذي حملاه هو علم صلاح الله اللامتناهيّ، وليس مجرّد عدالة إلهيّة.

(٩٥) في القول إنّ الكاملين لم ينقصهم المجد الإلهيّ، عودة إلى رو ٣: ٢٣ حيث الكلام عن أنّ كلّ البشر خطئوا، وهم بحاجة إلى مجد الله والخلاص الإلهيّ. لكن هنا الكلام عن أنّ الغنوصيّ بطبيعته شرارة إلهيّة.

(٩٦) الصفات التي لم يعتبرها الغنوصيّون صفات إلهيّة فهي صفات إله العهد القديم، بحسب الغنوصيّة، في مقابلِ صفات إله العهد الجديد.

(٩٧) بحثُ "الروحيّين" الهادىء لا يتسبّب لهم بالنزول إلى مثوى الأموات (مت ١١: ٢٣؛ لو ١٠: ١٥)، ولا تُشكل لهم خطر الموت. عندهم لا رغبات ولا شغف. يرتاحون في راحة الله فلا ألم لهم.

(٩٨) ينتهي النصّ بصيغة المتكلّم، ممّا يشير إلى أنّنا أمام غنوصيّ لا يهتمّ كثيرًا للكسمولوجيا، بل يتمحور اهتمامه حول سموّ حياة الغنوصيّ الروحيّة التي يرمز إليها الملء، حيث يريد الغنوصيّ أن يحيا ليمجّد أب الجميع، ويثبت متّحدًا به ومتمتّعًا بالفرح معه ومع الإخوة الحقيقيّين.

(٩٩) هؤلاء الغنوصيّون أبناء الآب الحقيقيّون، لأنّ لهم حياة الروح الأبديّة، يستطيعون أن يفسّروا النور المولود من الآب أي زرعه. هذا ما يذكّرنا بـ ١ يو ٣: ٩، لكنّ الزرع في فكر يوحنّا هو يسوع البعيد تمامًا عن كلّ كوسمولوجيا، وعن كلّ أسطورة. وينهي الكاتب تأمّله بتمجيد الأولاد الكاملين المستحقّين محبّة الآب.

جمعوا فيه كلّ عقائدهم حول الخلاص.

يكمن جوهر العقيدة الفالنتينيّة في إرادة شرح الإنجيل بحسب المبادئ الأفلاطونيّة، فتوهّمت وجود ثلاثين سلالة من الأيونات المذكّرة والمؤنّثة تؤلّف الملء أو الألوهة. سمّى الفالنتينيّون المسيحيّين "نفسيّين" أي غير القادرين على الوصول إلى الخلاص إلاّ بالإيمان البسيط أي بالأعمال، وبالتالي فإنّ عليهم عيش التجرّد والإماتة والنسك والاستشهاد، في حين أنّهم هم "الروحيّون" (أي الفالنتينيّون) ليسوا بحاجة إلى أيّ أعمال، لأنّهم صالحون في طبيعتهم، ويمتلكون النعمة التي لا يمكن أن تُنزَع منهم. هم كالذهب الذي لا يمكن أن تلوّثه الأوحال. من هنا عاش بعضهم حياة تفلّت كامل، مقتنعين أنّه يمكنهم إعطاء الجسد ما هو للجسد، وإعطاء الروح ما هو للروح، وهازئين من المسيحيّين "الجهلة" الذين يخشون الخطيئة، ولا يخافون الاستشهاد. الخلاص في عقيدتهم هو فداء روحيّ محض، يتمّ داخليًّا بالمعرفة الكاملة، وفي اكتشاف الـ"أنا" وأصلها الإلهيّ.

تتمّ العودة إلى الأصل بالعودة إلى الملء، وبين كلّ التيارات الغنوصيّة المعروفة إلى الآن، نعرف أنّ الفالنتينيّة هي البدعة التي استعملت أكثر ما يكون هذه الفكرة الكونيّة. كانت هذه البدعة تؤمن بأنّ المخلّص– اللوغوس نزل إلى العالم من الملءْ ليخلّص الأيونات التي، سقطت في المادّة، وهي تجهل طابع "أب الكلّ" اللامدرك واللامعقول. هذا هو سبب سقوط الحكمة (*Sophia*) وانغماسها في الشهوات الشبيهة بما يصفه إنجيل الحقيقة والتي يرمز إليها بالنعجة التي أضلّها أعداء الحقيقة؛ فالزرع الروحيّ الضائع في المادّة سيخلّص بالمعرفة والاستنارة من قِبَل الآب، واللوغوس والروح من جهة، وبالتعلّم أنّ الآب لامعقول ولامدرك من جهة ثانية. على رنّة الصوت، سيُعلَن لهم الاسم وأسماؤهم. كلّ هذه الأفكار تذكّر بالعقائد الفالنيتنيّة الغنوصيّة، ولكن بطريقة بدائيّة؛ فالكتاب لا يذكر مثلاً سقوط الـ"صوفيا" أي الحكمة، كما أنّ بعض المفردات الغالية على الفالنتينيّة مثل "المحيط" و"المكان" لا تأخذ المعنى المتداول عندهم عادة؛ فمع الأخذ بعين الاعتبار أسلوب هذا الإنجيل الوعظيّ، يمكننا القول بأنّ كاتبه يبدو في طور التنشئة. يمكن أن يعود هذا الكتاب إلى حوالى السنة ١٥٠م.، وقد كتبه ربّما أحد تلاميذ فالنتان المباشرين.

يعكس الكتاب نظرة هلّينيّة لبعض الأفكار الشرقيّة، كما في مسألة الكوسومولوجيّة. أمّا "الملء" أو "أب الكلّ المخفيّ" الذي يتألّف من مجموعة الزرع الروحيّ التي يجب أن تعود إلى الوحدة بعد خروجها من نومها، وهي فكرة نجدها في كلّ الفلسفات الأفلاطونيّة المتجدّدة في ذلك الوقت، فما هي إلاّ استعمال غنوصيّ للموضوع الفلسفيّ الأفلاطونيّ المتعلّق بروح العالم.

تتعلّق الأنتروبولوجيا والمسيحانيّة في "إنجيل الحقيقيّ"، بشكل مباشر بالكوسمولوجيا التي يتبنّاها هذا الكتاب. أمّا "الرجل الكامل" الذي نقرأ عنه في ٢٧: ١٤، والذي هو صورة للفكر الإلهيّ، فيمكن أن نجد جذوره في التقاليد التفسيريّة اليهوديّة (الهاغادا) للروح ولآدم الذي سقط، كما يمكن أن تتجذّر في الأسطورة الأفلاطونيّة لسقوط النفس في المادّة. والرجل الذي هو "كلّ شيء وكلّ الأشياء"، والمصلوب، فهو أبعد ما يكون عن يسوع المسيح، لأنّ المقصود هو شهوة النفس الأفلاطونيّة المسجونة في الجسد، وهو الإنسان الذي يفتدي نفسه، من خلال وعيه لحالته كسجين المادّة. والمخلّص–اللوغوس، أو المسيح، فليس سوى الرمز، أو ملخّص كلّ الأجزاء الإلهيّة الضائعة في المادّة. إنّها الحلوليّة اليونانيّة، وبالتالي فهي مسيحانيّة لا ترتكز بأيّ شكل من الأشكال على حدث تاريخيّ، كما هو الحال في المسيحيّة، بل على نظرة كونيّة تقوم على "الواحد" و"الكلّ". اللوغوس هو المثال الذي يبحث عن شبيهه الضائع في المادّة. على هذا الصعيد يبدو "إنجيل الحقيقة" أهمّ من نصوص نجع حمادي الغنوصيّة لأنّه يعرض جوهر الغنوصيّة. هذا ما يمكّننا من القول بإمكانيّة وجود غنوصيّة سبقت المسيحيّة، وقد تأثّرت بالهلّينيّة وبعض العقائد الفلسفيّة الشرقيّة وربّما باليهوديّة.

لا تبدو الغنوصيّة من خلال هذا الإنجيل كمجرّد تشويه للمسيحيّة، فهي تتجذّر في الفكر الهلّينيّ وتظهر كأنّها تقدّم الفكر الوثنيّ في إطار فكر مسيحيّ. تحاول هذه الغنوصيّة أنّ تجمع بين نظرة المسيحيّة للفداء، والنظرة الوثنيّة للخلاص بمعنى السلام والأمان في هذا العالم، إضافة إلى عدم الموت. ربّما يكون مبدأ المخلّص الذي نزل من السماوات قد وجد في اليهوديّة المشركة وفي الطقوس الباطنيّة. وربّما تكون المسيحيّة قد طوّرت هذه الفكرة، وأعادت صياغتها وأظهرت قيمتها، فيما عاد الغنوصيّون إلى الأفكار الوثنيّة القديمة.

لكن ليس مؤكّدًا أنّ كلّ الأفكار التي يعجّ بها "إنجيل الحقيقة" مثل "الاسم الإلهيّ" والأيونات، أو الإشارات إلى آدم–الإنسان، هي بالضرورة من تأثير يهوديّ، فأدب ذلك العصر كان يتناقل بعض الأفكار التي لا يعرف أحد جذورها الحقيقيّة؛ فحتّى الفالنتينيّة التي تُعتبر الغنوصيّة الأكثر تطورًا، ما هي سوى إشراك للعديد من المدارس الفلسفيّة والأدب الشعبيّ والدينيّ.

وحتّى المراجع العديدة التي نجدها من العهد الجديد، وبشكل خاصّ من القدّيس يوحنّا والقدّيس بولس، فإنّها مشروحة بطريقة هلّينيّة أي خارج الزمن، وبشكل فلسفيّ محض، شبيهة بغنوصيّة باقي النصوص الغنوصيّة المعروفة ونصوص نجع حمادي.

الغنوصيّة قليلة التأثّر باليهوديّة الحقيقيّة، على عكس المسيحيّة التي تتجذّر عميقًا في الكتاب المقدّس في عهده القديم، ممّا يفصل بين الغنوصيّة والمسيحيّة بشكّل كبير، وكأن الفالنتينيّة قد مسحَنَت غنوصيّة شعبيّة وُجدت قبلها، مبنيّة على أساس كوسومولوجيّ مأخوذ من الفلسفات اليونانيّة والشرقيّة، وجعلتها في أساس الأنتروبولوجيا والخلاص. من هنا نجد أنّ هذه الغنوصيّة لم تلجأ إلى العناصر المسيحيّة إلاّ لروحنة الثنائيّة اليونانيّة الماورائيّة المتعلّقة بالمادّة والروح، فالإنسان لا يخلص إلاّ بروحه فقط. وهكذا يرتكز الخلاص في الغنوصيّة على الإنسان الذي يسعى للوصول إلى الله، لا على الله الذي ينزل إلى الإنسان.